
منشورات لجنة تاريخ الأردن
٦٢
تاريخ الأردن في العصر المملوكي
الدكتور أحمد الجوارنة



٦٢

تاريخ الأردن في العصر المملوكي

الدكتور احمد الجوارنة

رقم التصنيف : ٩٥٦ر٠٧١
المؤلف ومن هو في حكمه : احمد الجوارنة
عنوان المصنف : تاريخ الأردن في العصر المملوكي
رؤوس الموضوعات : ١. الأردن – تاريخ– عصر المماليك
٢. المماليك – تاريخ
رقم الإيداع لدى مكتبة الدائرة الوطنية (١٩٩٩/٢/١٣٥)
(تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية بمعرفة دائرة المكتبة الوطنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسر "لجنة تاريخ الأردن" أن تقدم للقراء الكتاب الثاني والستين من منشوراتها[*]، عن: تاريخ الأردن في العصر المملوكي، الذي أعده الدكتور أحمد الجوارنه من قسم التاريخ بجامعة اليرموك .

و"لجنة تاريخ الأردن" لجنة مستقلة، تتخذ مقرها في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بعمان، ألفها صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد من رؤساء : المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، وجامعة اليرموك، وجامعة مؤتة، وجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، والجمعية العلمية الملكية، بعد أن وجه صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين رسالة سموه ــ في العشرين من شوال ١٤٠٧هـ الموافق ١٦ من حزيران ١٩٨٧م ــ طلب جلالته فيها أن يتولى سموه تأليف لجنة مستقلة "من المفكرين والمؤرخين المرموقين من الجامعات ومراكز البحث العلمي من الذين يواكبون تطور بلدنا، ويشاركون في مسيرته المباركة، ليقوموا بوضع خطة متكاملة المراحل لكتابة تاريخ الأردن، في إطار أمَــته العربية، ونشر بحوث ودراسات ذات مستوى علمي رفيع، ومنهج موضوعي يتوخى الحقيقة وحدها، ولا يقصد إلا وجه الحق، وتستخلص من البحوث والدراسات سلسلة من الكتب لمختلف الفئات من الناشئة إلى جمهرة المثقفين إلى كبار المتخصصين: للتعليم والمطالعة والمراجعة" .

وكانت اللجنة قد وضعت خطة متكاملة لكاتبة تاريخ الأردن منذ أقدم العصور حتى الآن، واستكتبت ما يزيد على مئة وعشـــرين من الباحثين المتخصصين من داخل الأردن وخـــارجه لإعــداد البحــوث العلمية المطلــوبة، وقــد تمــكنت اللــجنة، بحــمد الله

---

[*] يجد القارئ الكريم ثبتاً بها في نهاية هذا الكتاب .

وتوفيقه، من نشر واحد وستين كتاباً [*] – قبل صدور هذا الكتاب – في مختلف جوانب تاريخ الأردن السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وستواصل اللجنة، بمشيئة الله، إصدار البحوث في تاريخ الأردن –بالتتابع– فور إنجازها.

والله نسأل أن يكون هذا الجهد نافعاً للقراء والباحثين في تاريخ الأردن، وجيل الشباب المتطلع إلى دراسة تاريخ بلده وأمته، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور ناصر الدين الأسد

رئيس لجنة تاريخ الأردن

رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

(مؤسسة آل البيت)

عمان في:

ذي القعدة ١٤١٩هـ

شباط (فبراير)١٩٩٩م

---

[*] كانت لجنة تاريخ الأردن قد أصدرت خمسة وخمسين كتاباً في أربع سلاسل على النحو التالي:
- (٣٤) كتابا في سلسلة " الكتاب الأم في تاريخ الأردن" .
- (١٢) كتابا في سلسلة "البحوث والدراسات المتخصصة" .
- (٦) كتب في سلسلة "كتب المطالعة" .
- (٣) كتب في سلسلة "المصادر والمراجع" .

وقد رأت اللجنة – ابتداءً من الكتاب السادس والخمسين – نشر الكتب الصادرة عنها بأرقام متسلسلة دون تصنيفها ضمن سلسلة معينة .

تمهيد :

خضعت كافة مناطق الأردن للسيطرة المملوكية منذ عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وذلك بعدما تكمن المماليك بقيادة قطز، ومن ثم الظاهر بيبرس، من طرد المغول من بلاد الشام وإخضاع القلاع المنتشرة في الأردن لسيطرتهم بعدما انتزعوها من قبضة المغول، وبقيت كذلك طيلة العهد الملوكي الأول، ثم أعقبها حكم المماليك الجراكسة حتى عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، وهو التاريخ الذي كانت فيه بداية السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومناطق الأردن جزء منها، وقد زخمت مناطق شرق الأردن بأنشطة سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية إنعكست إيجابيا على سكان الأردن وعموم بلاد الشام والعالم الإسلامي .

فعلى الصعيد السياسي، مثلت مناطق الأردن أهمية إستراتيجية وعسكرية على امتداد فترة النفوذ المملوكي بعهديه التركي والجركسي، فمعظم سلاطين المماليك أبدوا حرصهم وعنايتهم الكبيرة في الاحتفاظ بمعظم المناطق العسكرية الهامة، كقلعة الكرك وقلعة الشوبك وقلعة السلط وقلعة عجلون، و احتفظوا بثغر العقبة المنفذ الرئيسي على البحر الأحمر، كما أبدوا رعايتهم اتجاه مناطق الأغوار الأردنية لخصوبة أرضيها .

وعلى الصعيد الإداري، فقد لعبت الأردن دوراً بارزاً في هيكلة الدولة المملوكية الإدارية، إذ وجدت الدولة المملوكية التركية والجركسية نفسها مضطرة لاتخاذ قرار سلطاني جعل بعض مناطق الأردن وحدات إدارية في غاية الأهمية، كقرارهم بجعل الكرك نيابة خاصة تسيطر على مناطق شاسعة تمتد أحيانا لتصل إلى حدود البحر المتوسط وإلى حدود العراق والجزيرة العربية، وهي النيابة التي منحها كافة سلاطين المماليك قصارى رعايتهم وعنايتهم، حتى أصبحت إلى جانب أهميتها الإستراتيجية والعسكرية، ملاذاً للسلاطين وأبنائهم وقادتهم، كما واتخذوها مستودعا أمنياً

للأسلحة والأموال، كما وجدوا فيها المكان الأمنع والأحصن باعتقال المتمردين والثائرين على شرعية الدولة، بالإضافة الى ذلك منحت السلطه ولاية خاصة ومنحت عجلون ولاية لأهميتها.

أما على الصعيد الثقافي، فقد بدا واضحا مساهمات سكان الأردن العلمية والثقافية، سواء من خلال الاهتمام ببناء المدارس والمساجد أوطلب العلم في بلادهم أم في بقية البلدان الاسلامية الأخرى، لاسيما في دمشق والقاهرة والقدس، ولذلك وجدنا العشرات من علماء شرقي الأردن ومن مدن وقرى مختلفة يلعبون دوراً بارزاً في تطوير حركة العلوم في سائر أنحاء العالم الإسلامي، وعلى وجه الخصوص بلاد الشام ومصر، وأصبح علماء كبار يدرسون من معظم مدارس الشام ومصر، وتولى أكثر من واحد مناصب عليا، خاصة ما يتعلق بالقضاء والتدريس، فكان منهم القراء والفقهاء والمحدثون والمفسرون والأدباء والشعراء والأطباء والمؤرخون وغيرهم. وعلى الصعيد الزراعي والصناعي فقد ساهمت شرقي الأردن بكثير من موارد الدولة المملوكية التي اعتبرت شرقي الأردن داعمة للخزينة في معظم فترات السنة، لما تمتلكه من ثروة زراعية كبيرة، كالزيتون والعنب والتفاح والكمثرى والتين والخضروات وقصب السكر والحبوب بأنواعها، وكان لمناطق الغور الدور الكبير في توفير العديد من أصناف الزراعة للدولة والسكان،أما الجانب الصناعي،فقد كان لها دور هام في رغد ميزانية الدولة، وذلك من خلال انتشار الكثير من مصانع عصير الزيتون ومصانع الصابون ومصانع قصب السكر ومصانع الأسلحة، لاسيما السيوف والرماح والنبال .

وأما على الصعيد التجاري فقد بدا جلياً الدور التجاري الهام الذي لعبته معظم مناطق شرقي الأردن، إذ كانت معبراً لكافة القوافل التجارية وقوافل الحجاج، لتربط أرض الجزيرة العربية بالعراق والشام ومصر. كما كان لثغر العقبة (أيلة)

الجهد التجاري البحري الكبير حتى أصبح من أهم المحطات التجارية الإسلامية في فترة العصور الوسطى.

وأخيراً فقد نجحت الأردن بأرضها وبسكانها إلى حد كبير في استيعاب العديد من الهجرات السكانية التي تعرضت لها مدن الشام كدمشق وحمص وحماة وحلب، فاستوعبت أول هجرة بعض الأمراء الأيوبيين الهاربين خوفا من المغول، وكذلك هجرة الناس باتجاه الجنوب حيث مرتفعات شرقي الأردن الجبلية المستعصية كعجلون والسلط والشوبك والكرك، وذلك في فترات الاجتياح المغولي على يد هولاكو (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ومحمود غازان(٧٠٣هـ/١٣٠٣م) وتيمورلنك عام (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، فإلى جانب ترحيب سكان الأردن بإخوانهم الهاربين من بطش المغول، فقد وجدناهم يقدمون كافة أنواع الدعم المادي والمعنوي للدولة المملوكية في تصديها للاجتياح المغولي للمنطقة، بل وشاركوا بأنفسهم في الدفاع عن ديار الإسلام للحد من خطورة الجيش المغولي.

المؤلف


الذخيرة العربية

أهمية الأردن الإستراتيجية في العصر المملوكي

الموقع الجغرافي الهام الذي تمتعت به منطقة شرقي الأردن استقطب اهتمام العديد من الدول التي سيطرت على بلاد الشام منذ أقدم العصور وحتى عصر دولة المماليك الأتراك (البحرية) والمماليك الجر اكسه (البرجية)، وقد سبق فترة الحكم المملوكي أن تنبه سلاطين الأسرة الأيوبية إلى أهمية الإستراتيجية لشرقي الأردن وذلك حينما وجهوا عنايتهم ورعايتهم إلى استحداث مواقع واستحكامات حربية متينة في المنطقة، لا سيما إعمار قلعة الكرك، وبذلك ضمنوا السيطرة الفعلية على المناطق الممتدة من الكرك إلى العقبة (أيله)[1]، لان الأيوبين تفهموا مدى الحرص التمسك بها، فرفضوا بشدة التخلي والتنازل عنها للصليبيين في حملتهم الخامسة سنة ٦٥١هـ/١٢١٩م، في حين تنازلوا عن بيت المقدس والساحل الشامي محتفظين لأنفسهم بقلعة الكرك والشوبك[2]، وكذلك انعكس اهتمامهم بالمنطقة في اتخاذ الصلت (السلط) التي بناها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، قاعدة عسكرية ـ وذلك بعد سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م[3]، ولضمان سيطرة الأيوبيين على البلاد، شرع الأمير عزا لدين أسامه في بناء قلعة عجلون على قمة جبل عوف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م[4]، لتصبح موقعاً عسكرياً يوازي من حيث الأبعاد الأمنية

---

(1) Charles Oman, History of the Art of War in the Middle Ages, 2 vols (London, 1924).

(2) يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي (المماليك البحرية)، (عمان، ١٩٨٢م) : ٤٣ .

(3) ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) عز الدين أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، خاص بتاريخ لبنان، الأردن، فلسطين، نشره وحققه، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق، ١٩٦٢م) : ٨٣ .

(4) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة : ٨٦ ــ ٨٧ .

والعسكرية دور قلعة الكرك وقلعة السلط، فقد تمكنت قلعة عجلون من إحكام سيطرتها وهيمنتها على المنطقة الممتدة على طول نهر الأردن من البحر الميت جنوبا وحتى بحيرة طبريا شمالا بل وتجاوزت ذلك إلى سيطرتها على المناطق الغربية لوادي الأردن من بيت المقدس وصولاً إلى الطور وصفد[1] كما قام الملك الأيوبي الناصر بإنشاء قلعة الأزرق سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[2].

وإذا كانت التهديدات الصليبية وما انطوت عليها من مخاطر تهدد البلاد الإسلامية أحد أبرز البواعث وراء اهتمام الأيوبين بمنطقة شرقي الأردن، فأن دولة المماليك نظرت كذلك إلى أهمية المنطقة الاستراتيجية،لابسبب ما أحدثته الهجمات الصليبية من مخاطر،بل لظهور خطر أكبر تمثل بالاجتياح المغولي للعالم الإسلامي، ولذلك وتحقيقاً للبعدين العسكري والأمني للمنطقة، فقد سارع المماليك منذ اللحظات الأولى لتأسيس دولتهم إلى السيطرة على أقاليم شرقي الأردن وما تحويه من مواقع دفاعية حصينة، وقد لمسوا بأنفسهم مكانة الأردن عشية الاجتياح المغولي لبلاد الشام وأنهم بأنفسهم جاهدوا طويلاً ضد الخطر المغولي والحاميات الصليبية في المنطقة وبذلوا أقصى الجهود في سبيل تحرير مواقع الأردن الدفاعية الحصينة من المغول والصليبيين سعياً وراء هيمنة كاملة على شرقي الأردن،كأحد الأقاليم الهامة التي تربط مناطق عربية عديدة وتأميناً لطرق التجارة عبر أراضي الأردن.

وما أن تحقق للسلطان قطز الاستيلاء على قلاعها وحصونها عقب إنتصاره على المغول في موقعه (عين جالوت) سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، حتى باشر في ترميم الحصون المنتشرة في الأردن وقواها وشحنها بالرجال والعدة والسلاح والذخائر،ثم أمر الظاهر بيبرس بتجديد بناء قلعة عجلون حيث جعلها محط رعايته واهتمامه فنقل

---

(1) غوانمة، التاريخ السياسي : ٤١ .

(2) المرجع نفسه .

إليها الأسلحة والذخائر وولى عليها عز الدين أيبك العلائي[1]،كما استرجع الملك المظفر قطز قلعة السلط من يد المغول(التتار) وأقر فيها محمد بن الحاج الناهض أبي بكر الأتابكي[2]. أما الكرك فقد حصنها الظاهر بيبرس أعظم تحصين وزاد في بناء قلعتها وحفر خندقها ونقل إليها الذخائر والأسلحة وجعلها خزينة لأمواله[3]، ثم أمر بيبرس سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، بعمارة القلاع التي خربها المغول من الأردن إلى نهر العاصي فضلاً عن أبراج المراقبة التي أقامها على طول الأطراف الصليبية لحفظ الطرقات من اعتداءات الفرنج[4]، ومع ذلك فقد ظلت تحصينات شرقي الأردن وقلاعها ملاجئ أمنية يلوذ بها أهل الشام بوجه عام عندما يداهمهم خطر المغول[5]، ومما لاشك فيه أن استمرار تهديد الخطر المغولي للمنطقة كان عاملا قويا دفع بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون وغيره من سلاطين الدولة المملوكية إلى توجيه مزيد من الإهتمام والعناية بقلاع الأردن، ففي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، وحينما أكمل الناصر محمد بناء أربعة مجانيق في دمشق، أمر بواحدة منها لقلعة دمشق وخصص ثلاثة وحملت إلى قلعة الكرك[6].

ويبدو أهمية شرقي الأردن الإستراتيجية لم تقف عند حدود تحصيناتها وقلاعها الأهمية البالغة، بل كان لوفرة المناطق الزراعية الخصبة دورا بارزا في

---

(1) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة : ٨٩ – ٩٠ .

(2) المصدر نفسه : ٨٥ .

(3) مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، (باريس، ١٩٢٠م): ٣٠٦/٢.

(4) أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك : ٢٠٨، ٢٠٩ .

(5) ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب انطون اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٥٨م) : ٢٧٩ .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، (القاهرة، ١٣٥٨هـ) : ١٤/ ٦٩، غوانمة، التاريخ السياسي: ٦.

اهتمام المماليك واستثمارهم لها،إذ كانت أرضيها توفر "أرزاق العساكر الإسلامية"[1] وذلك خلال توزيع إقطاعات عجلون والبلقاء والكرك والشوبك والأغوار التي كانت تقدم جزءا من غلاتها إلى المناطق المجاورة في حين كان الفائض يخزن في قلاعها وحصونها كذخيرة ومخزونا احتياطا لأوقات القحط والجفاف، ومثال ذلك أن السلطان الظاهر بيبرس جهز سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م، الطواشي جمال الدين محسن،وبعث معه خمسمائة غرار من الكرك يفرقها فيمن بالمدينة من الضعفاء والمجاورين[2]، وكذلك عندما أصيبت الديار المصرية الشامية سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بقحط وجفاف ومجاعة، كان ببلاد الكرك والشوبك وبلاد الساحل مايرصد للمهمات ماينيف عشرين ألف غرارة فحملت إلى الأمصار[3]، كما كانت منطقة شرقي الأردن غنية بتوفير المواد الخام لصناعة أسلحة النفط ذات الأهمية الكبرى في حسم المعارك في ذلك العصر، أذ ان السواحل الشرقية للبحر الميت اشتهرت بمعدن الكبريت الأبيض،ومادة الغاز الأسود (الحُمر)[4]، هذه الأهمية دفعت السلطان الظاهر برقوق، (٧٨٤هـ -٨٠١هـ/١٣٨٢م - ١٣٩٨م) إلى القول: "فهي جل البلاد الشامية، وبها أرزاق العساكر الإسلامية وطريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وإلى الأرض المقدسة التي هي على الخيرات مؤسسة، وإلى الأبواب الشريفة السلطانية وممر التجارة قاصدين الديار المصرية، ومنازل العربان ومواطن العُشران، وجب أن يفوض حكمها إلى مـــــن عُرف

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة، ١٩٦٣م) : ١٢/ ٣١٤ .

(2) اليونيني، قطب الدين، ذيل مرأة الزمان، (مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٥٤ _ ١٩٦١م) .

(3) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة: ٣٤، غوانمة، التاريخ السياسي : ٤٧ .

(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة، ١٩٧٦م) : ٢٥١/١ .

بالشهامة والشجاعة"[1]، وهو دليل اهتمام مملوكي بمنطقة شرقي الأردن.

ثم جاءت أهمية الأردن الإستراتيجية في العهد المملوكي لموقعها الهام كحلقة اتصال بين مصر والشام وبلاد العراق وإيران وفلسطين والحجاز، كما شكلت شبكة متصلة من الممرات والطرق والمسالك التجارية أو لغايات الحج وزيارة الأماكن المقدسة بالحجاز أو بيت المقدس، ولاسيما الحجاج القادمون من المشرق الإسلامي،إيران،أفستان،وأواسط أسيا، ويبدو أهمية المنطقة ظلت تستقطب اهتمام السلاطين طيلة العصر المملوكي. وتؤكد الدراسات الحديثة أنها استمرت مزدهرة في العصر المملوكي الثاني، محافظة على مكانها كحلقة وصل بين البلدان[2]، ثم كانت العقبة الثغر الأميز بأهميته التجارية، فقد تفرع منها شبكات طرق برية وبحرية متعددة ترتبط ببلاد الشام وسيناء ومصر والحجاز، حيث كانت محطة إستراحة للحجاج من كافة الأقطار من مصر والمغرب والشام، وتنعقد بها الأسواق التجارية الكثيرة حيث تنشط هذه القوافل في موسم الحج، وذكرت المصادر التاريخية أن هذه القوافل كانت تمر بالمفرق والزرقاء وزيزياء واللجون والكرك ومعان، وكانت منطقة عجلون المعبر الوحيد الذي تسلكة قوافل التجارة مابين العراق ودمشق والقاهرة[3]، وقد دفعت أهمية المنطقة التجارية بالمماليك إلى إنشاء مراكز خاصة بجمع المكوس والضرائب لتشــكل موردا اقتصــاديا هاما مــن موارد الدولة، فأنشأوا مركزا جمركيا على جسر الحسا جنوبــي الكرك[4]، وأخر في ثغر العقبــة، فذكر أبن إياس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م) انه كــانت فــي أيلة (لعقــبة) قــصر عــالٍ يقيــم فيــه قباض المــكوس بســبب

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى : ٣٠٩/١٢ .
(2) صلاح الدين البحيري، جغرافية الأردن، (عمان، ١٩٧٣م) : ١٥ .
(3) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، ١٩٦٩م) : ١٥٣ .
(4) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك : ١٠٨ .

مراكب التجار التي ترد هناك من الهند واليمن والصين وغير ذلك من البلاد[1]، كما بني بها السلطان قانصوه الغوري قلعة حصينة .

وإن كانت (شرقي الأردن) من الأهمية بمكان ما جعلها تتميز استراتيجياً من الناحية العسكرية والتجارية، بحيث اجتذبت رعاية واهتمام العديد من الدول القديمة والإسلامية، ولاسيما دولة المماليك،فإنها حظيت كذلك بعناية سلاطين المماليك شخصياً، فقد استثمر موقعها الحصين وقدرتها على مواجهة الأنواء والأخطار أكثر من واحد من سلاطين الدولة المملوكية من أجل الوصول إلى السلطة، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون أتخذ من الكرك قاعدة عسكرية وسياسية هامة لبلوغ سلامة الحكم وقد اهتم بإرسال البريد والمكاتبات بمهمات الكرك،وحمل إليها الذخائر من كل شيء وكل صنف من الأصناف[2]، كما أن السلطان الظاهر برقوق، كان معتقلا في قلعة الكرك[3]، ومنها إنطلق إلى بناء دولة مملوكية جديدة على إنقاض دولة المماليك الأتراك، حيث سيطرت على القاهرة ودمشق وذلك بمساعدة أهالي الكرك الذين سارعوا إلى إطلاق سراح برقوق من السجن وساعدوه في إعادته إلى السلطة للمرة الثانية،حينما اتخذ من الكرك موقعا مستقلا قام بتحصينه وتقوية قلعته، ودخل في طاعته أهل الكرك والشوبك وأجنادها، وحضر إليه العرب من مشايخ العُشران بتلك البلاد[4] .

---

(1) ابن إياس، نشق الزهور : ورقة ٧٢ب، نقلاً عن غوانمة، "التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن (من جنوب الشام) في العصر المملوكي"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٣- ٢٤، دمشق، ١٩٨٦م: ٨٨.

(2) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور: ١٢٥، غوانمة، التاريخ السياسي: ١١١ .

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ١١/ ٢٢٣ .

(4) ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ)، تاريخ ابن الفرات، نشره قسطنطين زريق (بيروت، ١٩٣٦، ١٩٣٨م) مجلد٩، ق١ : ١٣٨ – ١٤٠ .
ابن تغري بردي، النجوم: ١١/ ٣٥٠ .

شرقي الأردن والحملات المغولية على بلاد الشام في العصر المملوكي

طفق الخطر المغولي يهدد منطقة شرقي الأردن من خلال ثلاث حملات مغولية متباعدة السنين ومختلفة الزعامات، فكانت أولاها، عندما أتخذ هولاكو قراره الخطير بإسقاط دولة الخلافة العباسية وتدمير حاضرتها بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فأضحت بلاد الشام، والأردن جزء منها، هدفاً تاليا للمغول، ومما زاد من صعوبة الموقف واضطراب الأحوال بالنسبة للأردن، أن المغول استأنفوا زحفهم تجاه الديار الشامية، فأسقطوا، مدنها وممالكها، وقد شكلت حالة الفوضى وانعدام الوحدة السياسية بين الملوك والأمراء الأيوبيين، وصراعهم الشديد الذي دفع بعضهم إلى ممالاة المغول والفرنجة ضد بعضهم البعض، شكل ذلك عاملاً مباشراً في تسارع الانهيار السياسي للنفوذ الأيوبي في المنطقة، فسقطت حمص وحماه وحلب وحاضرة الشام مدينة دمشق سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وهي الحوادث التي وضعت منطقة شرقي الأردن في حالة من الذعر والارتباك ومع ذلك، نجحت الى حد كبير في استيعاب العديد من الأمراء الأيوبيين الهاربين خوفا من المغول، وكذلك هجرة الناس من المدن والقرى الشامية باتجاه الجنوب حيث مرتفعات شرقي الأردن الجبلية، كعجلون والسلط والكرك أما ثانيهما فكانت حملة السلطان المغولي محمود غازان، ملك العراق وإيران، لإسقاط بلاد الشام من الحكم المملوكي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، هذه الحملة أثرت تأثيرا مباشراً على شرقي الأردن، حينما تعرضت المدن الشامية، حلب وحماه ودمشق للاجتياح المغولي والعبث والفساد الذي أنتشر في أرجائها، وما تبع ذلك من اضطرار الناس إلى الهجرة القسرية.باتجاهات مختلفة حيث كان نصيب شرقي الأردن وفيرا في إحتضان وإيواء العديد من سكان تلك المدن. وثالثهما، اجتياح الأمير تيمورلنك لبلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، إذ أجرى

تيمورلنك بها مذابح جماعية وتدمير شامل ومصادرة للممتلكات، مما أجبر الناس على الهجرة، وذلك باتجاه جنوب الشام (شرقي الاردن)، لذلك سنتعرف على أهمية شرقي الاردن ودورها، سواء في التصدي للحملات المغولية ومشاركة أهلها بالدفاع عن بلاد الشام او بايوائها واحتضانها للهاربين النازحين من الشام وخلق أجواء أمينة لهم .

أولا : هولاكو والاعتداءات المغولية على بلاد الشام :

جاءت الاعتداءات المغولية سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م على بلاد الشام متزامنة مع ولادة الدولة المملوكية الاولى، وهي وريثة الحكم الايوبي في منطقة مصر وبلاد الشام، وقد وجد هولاكو في الانقسامات والصراعات الايوبية في بلاد الشام فرصة ثمينة لضم هذه البلاد لدولة المغول، وما ان تم المغول اسقاط حلب وحماة وحمص ودمشق، حتى بادرت بعض القيادات الايوبية الى الهروب تجاه الاردن، منهم الملك الناصر صاحب حلب، اذ فر ابان وصول هولاكو الى حلب، فلجأ الى قلعة الكرك وقد أرادت المغول محاصرته في الكرك، الا ان الملك الناصر طلب الامان وسلم نفسه لهولاكو[1]. ويذكر ابن الوردي انا الملك الناصر أثناء هروبه حطّ ببركة زيزياء من اعمال البلقاء، فتركها وذهب الى الكرك فوشى به لهولاكو احد رجالاته، وعرفه بموضع الملك الناصر، فارسل اليه وقبض عليه وأحضره الى عجلون وكانت عاصية بعد، فأمر الملك الناصر فسلموها اليهم (أي للمغول) فهدموها[2] . ونلاحظ ان منطقة زيزياء كانت

---

[1] رشيد الدين الهمذاني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، الايلخانيون، تاريخ هولاكو، نقله الى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد (القاهرة ١٩٦٠م) : ٣٠٨/٢ .

[2] ابن الوردي (ت١٣٤٨/٧٤٩م) زين الدين عمر تتمة المختصر في اخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي (بيروت ١٩٩٦م): ٢٠٠/٢، احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام (بيروت ١٩٦٩) : ١٥٦-١٥٧ .

محطاً أمنا لبعض السلاطين الايوبيين، فلما التجأ اليها الملك الاشرف موسى الايوبي ليكون بمأمن من الاسر والقتل على يد المغول، وعندما حاول هولاكو الوصول اليه، أرسل له الامير صارم الدين أزبك بن عبدالله الاشرفي وأمر له بالخيل والجند، وركب ووصل الى غزة، لان الملك الاشرف قرر الانضمام الى الجيش المملوكي المرابط في مصر، الا ان صارم الدين لم يجده في غزة وعلم ان الاشرف ومن معه من الامراء الايوبيين مشتتين بالبرية، فلحق بهم على منزلة تعريف ببركة زيزياء[1] من اعمال البلقاء. ثم كانت عجلون موئلا للهاربين من مدائن الشام الشمالية خوفا من المغول، اذ ان جبالها كانت توفر قدرا كبيرا من الامن والسلامة للمسلمين، الا ان المغول علموا بأهمية هذه المنطقة، لا سيما قلعة عجلون، فقرروا الوصول اليها، فوصلوها في شهر رجب من سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، واستولوا على جميع حواصلها وذخائرها ومن فيها من الجواري والنساء، وهدموا شراريف القلعة، وظلت بأيدي المغول حتى كسروا في معركة عين جالوت في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وقد حررها المظفر قطز، وامر بانشائها وعمارة ما تهدم منها[2]، كذلك كانت منطقة الصلت (السلط) موقعا استراتيجيا هاما دفع بالعديد من المسلمين الفارين من دمشق وغيرها الى اللجوء اليها، ولم تسلم هي الأخرى من همجية التتار وعبثهم وطغيانهم، اذ قصدوها، وكان بها بدر الدين محمد بن الحاج الناهض ابي بكر الاتابكي، وحاول مقاومتهم واستمرت هذه المقاومة طويلا، لتستعص القلعة (قلعة الصلت) على المغول اياما ثم سلمها لهم، فأقروه فيها[3]،ولم تشر المصادر التاريخية الى ان المغول قاموا

---

[1] ضميمة رقم (٣)، رواية صارم الدين ازبك في وصف التتار، احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الاولى بمصر والشام :٢٥٦-٢٦١.

[2] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة :٨٩-٩٠

[3] المصدر نفسه :٨٤

بذبح سكانها، بل نجت من القتل والتعذيب وقد استرجعها الملك المظفر قطز من المغول بعدما هزمهم في موقعة عين جالوت واقر فيها بدر الدين الاتابكي[1] ولا نستبعد ان منطقة عجلون والسلط (مدينة في البلقاء) قد استقطبت اعدادا كبيرة من الهاربين والشاردين من دمشق وحماة وحمص وغيرها اذ انها هي الاماكن الاقرب اليهم ولسهولة الوصول اليها واذ كان التتار (المغول) قد وصلوا الى قلعة عجلون وقلعة السلط فهذا لا يعني ان المناطق الاخرى خضعت لسيطرتهم اذ ان القرى الجبلية ظلت بمنأى عن الخطر المغولي الذي طفق يقلق ويهدد حياة السكان .

لقد ترتب على اجتياح المغول لبلاد الشام سقوط معظم الامارات الايوبية ولم يبق من منطقة شرقي الاردن سوى الكرك التي ظلت امارة ايوبية يتزعمها الملك المغيث عمر ورغم استقلالها رغب المغول في الوصول اليها بالطرق السياسية والدبلوماسية فبعثوا العديد من رسلهم الى الملك المغيث حتى نجحوا في استقطابه واعلن انضمامه اليهم وبذلك حقق مكاسب سياسية هامة اذ اقر المغول سلطته على الكرك، وجعلوا معه نائبا في حصن القلعة[2] ولان الشوبك كانت خاضعة لسلطة الكرك فقد انضمت هي الاخرى لسلطة الملك المغيث عمر وامر عليها صارم الدين قايماز الناصري ليكون نائبا له فيها[3] فأصبحت امارة الكرك الايوبية بزعامة الملك المغيث عمر اكثر الامارات أهمية واشدها خطرا على مصالح الدولة المملوكية الناشئة في مصر لا سيما بعدما أعلنت تأييدها للنفوذ المغولي في المنطقة وهو السبب الذي دفع بالملك المظفر قطز عقب انتصاره في معركة عين جالوت وطرد المغول من المنطقة الى مراسلته وكاتبه الملك المغيث في ابقائه على الكرك فأجـــابه قطـــز

---

(1) ابن شداد،الاعلاق الخطيرة :٨٥
(2) المصدر نفسه : ٧٦
(3) المصدر نفسه :٨١

إلى ان يبقى معه الكرك لا غير واخذ منه الصلت (السلط) والبلقاء والخليل[1] الا ان الملك المغيث عمر الايوبي ابدى عداوة لدولة المماليك بعد وفاة قطز واعتلاء الظاهر بيبرس سلطانا على مصر والشام[2] ويكشف المؤرخ ابن شداد على ان ما حمله على اظهار عداوته للمماليك ومكاتبته للمغول ما اظهره من حسد وبغضاء للظاهر بيبرس لاستئثاره بالسلطة[3] الا ان اعتلاء السلطان الملك الظاهر بيبرس لعرش دولة المماليك في مصر والشام كان بداية مرحلة جديدة في تاريخ الصراع بين القاهرة والكرك استمر ما يقرب من سنتين ونصف السنة من ذي القعده (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الى جمادى الاخرة (٦٦١هـ/١٢٦٣م) وانتهى باستيلاء الملك الظاهر بيبرس على الكرك وانتزاعها من الملك المغيث واعتقاله بحبس قلعة القاهرة ثم قتله[4] بذلك نجحت الدولة المملوكية بعد انتصارها في معركة عين جالوت وتطهير ضفتي نهر الاردن الغربية والشرقية من التواجد المغولي ثم اسقاط امارة الكرك الايوبية في جعل منطقة شرقي الاردن جزءا من سيادتها .

ثانيا : السلطان محمود غازان واعتداءاته على بلاد الشام :

تعرضت مناطق شرقي الاردن لتهديدات مغولية جديدة في عصر الدولة المملوكية ايام الناصر محمد بن قلاوون وذلك سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) فلم يكد السلطان المذكور يستقر في سلطنته الثانية سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) حتى اجتاحت القوات المغولية بلاد الشام،وراحت تنذر بالخطر سيادة المماليك في المنطقة ولقد طرأ على الساحة الشامية جملة من المتغيرات السياسية والاجتماعية عقب احتلال المغول لبلاد الشام فتخمض عن ذلك سيادة مغولية على المنطقة واقصاء النفوذ

---

(1) ابن تغري بردى،النجوم :٧٩/٧ ; غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الاردن :٥٥-٥٦

(2) ابن تغري بردى النجوم : ٨٧/٧.

(3) ابن شداد الاعلاق :٧٧

(4) ابن شداد الاعلاق الخطيرة : ٧٨،٧٩،٨٠; غوانمة، التاريخ السياسي :٥٦

المملوكي، وزعزعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها وقد طال أذى المغول وبطشهم لبلاد الشام مناطقها الجنوبية (شرقي الاردن) فبعدما تمكن المغول من الحاق الهزيمة النكراء بقوات السلطان الناصر محمد بن قلاوون في موقعة وادي الخزندار في ٢٧ربيع الاول ٦٦٩هـ/٢٣ ديسمبر١٢٩٩م، واسقاط مدينة دمشق وقراءة الخطبة باسم غازان على منابر دمشق[1]. اعقب ذلك اجتياح مغولي للاجزاء الشمالية من بلاد شرقي الاردن كعجلون والبلقاء حتى وصلت بعض طلائعهم الى بلاد الكرك في الجنوب[2] ثم تقدمت القوات المغولية الى بيت المقدس ونواحيها ومضى المغول في زحفهم ينهبون ويأسرون ويقتلون ولم يكتف غازان بذلك بل جرّد عشرين الفا من قواته الى منطقة اغوار الاردن فنهبوا ودمروا وجمعوا الاموال الكثيرة وقد عانى اهالي الاغوار من بطش وظلم المغول كثيرا[3]، هذا الانتشار المغولي في انحاء بلاد الشام شماله وجنوبه كان نتيجة طبيعية لهزيمة المماليك في موقعه (وادي الخزندار)، والتي على اساسها انهزم السلطان محمد بن قلاوون الى مصر تاركا الشام ومنطقة شرقي الاردن فريسة لهمجية المغول ووحشيتهم وهو الامر الذي ادى الى فرض حالة من الفوضى في سائر البلاد. من نتائج هذه الهزيمة ومتا تعرضت له دمشق انتشار حالة الفوضى في صفوف اهالي مناطق الشام الشمالية، اذ تحولت حياتهم الى بؤس ونكد، وانهارت عزائم الناس وكان لضغط هذه الازمة الخانقة دور

---

(1) نودي بمنابر دمشق بألقاب السلطان وهي "السلطان الاعظم سلطان الاسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان وقرىء على الناس تقليد الامير المغولي قبجق بلاد الشام كلها، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :١٢٥/٨ مؤرخ مجهول،تاريخ سلاطين المماليك :٥٩

(2) ابو الفداء المختصر في اخبار البشر :٤٤/٤، المقريزي، السلوك،جـ١ ق٣ : ٨٨٩ .

(3) المقريزي، السلوك،جـ١ ق٣ :٨٩٤ .

مباشر وراء هجرة اهل دمشق وغيرها باتجاه مصر والكرك وعجلون والاغوار الاردنية، وهي الهجرات التي دفعت بالمغول إلى مطاردتهم وملاحقتهم لسلبهم ونهبهم، كما سبق الاشارة الى ذلك فكانت الهجرة الاولى في شهر ربيع الاول من سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)، عندما هزم المغول جيش المماليك في مجمع المروج وصحيح ان الطابع الغالب على هذه الهجرة هو هجرة الامراء والعلماء والقضاة والولاة الا ان ذلك لم يمنع عامة الناس من المبادرة الى الهجرة أيضاً[1] ويوم قرر السلطان محمود غازان دخول مدينة دمشق هرب اهلها وانتشروا على رؤوس الجبال ولا سيما مناطق عجلون والبلقاء مما اضطر اعيان دمشق الى عقد اجتماع طارىء للحيلولة دون استمرار الهجرة السكانية كما بادر الشيخ ابن تيمية للاجتماع بمحمود غازان للحصول على ضمانات شخصية منه بعدم الاعتداء على سكان دمشق وغيرها ونجح في استصدار فرمان سلطاني يقضي بأمان اهل دمشق حيث اطمأنت الناس وسكنت احوالهم وهذا ما سعى الى تحقيقه ابن تيمية وعلماء المسلمين[2]، ثم تكررت هجرة ونزوح اهالي دمشق الى منطقة شرقي الاردن عندما تأخر الجيش المصري (المملوكي) عن اللحاق بركب الشام سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، يوم قرر غازان العودة اليها ثانية[3]، ولم يقف امر تخوف اهالي دمشق وهجرتهم عند حد تهديدات المغول العسكرية بل فرضت عليهم تلك الاحوال تدهور الوضع الاقتصادي تدهورا وصل الى حد لم يعد احد يطيقه اذ تعرضت مصالح الناس المادية لاضرار بالغة بسبب ما اتخذه المغول من سياسة النهب والسلب والاسر فنهبت غوطة دمشق وضواحيها في ١٠ ربيع الآخر سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)[4]، كما تم نهب الصالحية في ١٥

---

(1) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ : ٨٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية : ١٤/ ٦، ٧ .
(2) تاريخ سلاطين المماليك: ٦١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨/ ١٢٣ .
(3) تاريخ سلاطين المماليك : ١١٠، ١١١ .
(4) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ : ٨٩٠ .

ربيع الاخر سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) بل وقام المغول بتخريب مساكنها ومساجدها ومدارسها فنهب مسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية واحرقوا جامع النوبة واخذ المغول ما في مسجد الصالحية من الاثاث والبسط والقناديل[1]، مما دفع بالناس إلى الهجرة لاسيما تجاه المناطق الجبلية من شرقي الاردن وانتشار ظاهرة الغلاء الفاحش فالى جانب عدم الاستقرار وشيوع حالة الفوضى والفساد فرض المغول على اهل دمشق ضرائب مالية ضخمة لم يقدروا على تحملها فقد اثار بعض المؤرخين حجم الاموال الضخمة التي استولى عليها المغول عن طريق العنف والقهر ان ما حمل الى غازان وحده من اموال دمشق والصالحية بلغ حوالي ثلاثة الاف الف درهم سوى ما نهب من السلاح والدواب والثياب والغلال وسوى من نهبه أمراء المغول[2]. ومن الاسباب التي دعت اهل دمشق الى النزوح باتجاه شرقي الاردن ما حدث في مطلع عام (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) اثناء عودة السلطان محمود غازان الى بلاد الشام غادرها السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى مصر حيث قام المغول بنهب حلب وحماة فنهبوا دوابها وابقارها وسبوا النساء وأسروا الرجال والصبيان حيث باعوا الاسير والاسيرة بعشرة دراهم[3]، ورغم ما حققه المماليك من انتصارات عسكرية على المغول في موقعة شقحب سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، وأدى بالتالي الى طرد المغول من بلاد الشام الا انها لم تحل بين الناس وبين الهجرة، إذ تعرض سكان دمشق وغيرها الى مخاطر المجاعة والفقر

---

[1] رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، م٢ ج١ : ١٥، ١٦ .
ابن كثير، البداية، النهاية : ٩٩/١٤ .

[2] المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ : ٨٩٤، تاريخ سلاطين المماليك، : ٧١، وابن تغري بردي، النجوم: ١٢٧/٨ .

[3] تاريخ سلاطين المماليك: ٨٤ .

فتفشى الغلاء وفقدت المواد التموينية من الاسواق[1]، وسبق ذلك يوم شاعت الانباء بين اهالي الشام بأن المغول في طريقهم اليهم فانزعجوا لذلك وطاشت عقول الناس والبابهم وشرع كثير منهم في الهرب الى بلاد مصر والكرك والشوبك وعجلون والحصون المنيعة[2]، ويذكر ابن ايبك الدودار انه وقع الجفل في الديار الشامية وغلت اثمان الدواب ولما رات السلطة المملوكية ما سببه خوف الناس وخروج الاهالي هربا من بلادهم صدرت الاوامر ببقاء الاهالي في مناطقهم وعدم السماح لهم بالانتقال ثم الاستعداد للجهاد[3] .

لم تكن منطقة شرقي الاردن بمنأى عن المؤثرات السلبية التي احدثها المغول في مدن الشام الشمالية كدمشق وحمص وحماة وغيرها فقد طالت تلك المؤثرات حياة سكانها ومصالحها وجعلها عرضه للنهب المغولي وهذا ما حدث عندما امر محمود غازان بعض قواته للاستيلاء على مناطق الاغوار (شرقي نهر الاردن) ونهبها وسلبها حتى وصلت الى عجلون والبلقاء وقد جرّد لهذه المهمة حوالي عشرين الف فارس من عساكره نزلوا اولا منطقة الاغوار ومنها شنوا الغارات المتلاحقة ضد القدس والخليل وغزة والكرك[4]، ورغم الاجتياح والسلب والنهب الذي احدثه غازان في منطقة شرقي الاردن الا انها بقيت ملاذا امنا لحماية المسلمين الهاربين من شمالي الشام سواء بما تملكه من مواقع استراتيجية هامة كجبال عجلون وقلعتها وقراها وقلعة الصلت ومرتفعات البلقاء وقلعة الكرك وجبال الشوبك أو ما قـــدمه

---

(1) الباحث، المغول، دراسة تاريخية في فكر ابن تيمية في العصر المملوكي الأول: ١٠.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية : ١٤/١٤ .

(3) ابن أيبك الدوادار (ت ٧١٣هـ/ ١٣١٣م) أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، القاهرة، ١٩٦٠م، ١٩٧٢م : ٩/ ٤٠ .

(4) بيبرس المنصوري (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٢٥م) التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٩٨٧م : ١٥٨ .

سكان منطقة شرقي الاردن من دعم ورعاية لاولئك الهاربين في توفير متطلبات العيش لهم من مأكل وشراب وملبس وحتى الدفاع عنهم ان أمكنهم ذلك .

وباعتقادنا فان سكان منطقة شرقي الاردن ساهموا بنسب متفاوتة بدعم اهالي الشام بالمؤن والمال وما توفر من السلاح ونشطوا مع من نشط في الدفاع عن حمى البلاد الشامية وقد برز ذلك واضحا حينما صدرت الاوامر السلطانية سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٣م)[1]، فتقاطر سكان الاردن للانضمام الى قوات المماليك وقد اشاد القلقشندي بالدور الكبير الذي ادته القبائل العربية القاطنة في شرقي الاردن ومنهم قبائل عرب آل مرا، الذين ينتشرون في حوران من بلاد الجولان الى الزرقاء والخليل الى بصرى وشرقا الى الحرة تقريبا من مكة[2]، فشاركوا جنبا الى جنب مع الجيش المملوكي القادم من الديار المصرية وكان لهم دورا مميزا في تحقيق الانتصار في موقعة شقحب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م وندع المؤرخ القلقشندي يصف بطولاتهم واعمالهم في تلك الموقعة فيقول :

وآل مراء ابطال مناجيد ورجال صناديد واقيال قل قال الشيخ شهاب الدين ابو الثناء محمود الحلبي كنت في نوبة حمص في واقعة التتار ..... اذ اقبل ال مرا زهاء اربعة الاف فارس، شاكين السلاح على الخيل المسوّمة والجياد المطهمة، وعليهم الحمر الاطلسي المصري، والديباج الروحي او على رؤوسهم البغي، مقلدين

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر : ٩/ ٤٠ .

(2) القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشاء : ٤/ ٢١٥-٢١٦، وممن يضاف إلى قبائل آل مرا، حارثة، ولام، وسعيدة، ومدلج، وقرير، وبنو صخر، وزبيد حوران، وبنو عز، وآل طغير، والمفارجة، وآل سلطان، وآل غزي وآل برجس، والخرسان وآل المغيرة، والرزاق وبني حسين الشرفاء، وخثعم وعدوان وعنزة .

بالسيوف وبأيديهم الرماح وكأنهم صقور على صقور وبأيديهم الجنائب التي اليها عيون الملوك صورا ووراءهم الضغائن والحمول معهم مغنية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة من الهودج وهي تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذامـــــا وحميــرا

ولما لقينا عصبة تغلبـــــة يقودون جردا للمنية ضمــــــرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانـــــه تكســــرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلـــه ولكنهم كانوا على الموت اصبرا

فان الكرة اولا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكرة على التتار[1] .

والحقيقة ان تكاتف المسلمين جميعا من يعيش منهم في مصر او الشام او شرقي الاردن ادى بهم الى الانتصار على المغول وطردهم من ديارهم وهو نصر فرح به جميع المسلمين وفي ذلك يقول جمال الدين ابو بكر قاضي عجلون :

الله اكبر جاء النصـــر والظفـــر والحمدلله هذا كنــــــت انتظـــر

حتى اذا عب مثل البحر جحفلنـــا ومد فيضا على اعدائهـــا جزروا

اصلوهم جاحما يشوي الوجوه وقد حمى الوطيس ونار الحرب تستعر

اليه المفر وقد حام الحمام بهـــم هيهات لا ملجأ يرجى ولا وزر[2].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى : ٤/ ٢١٦ – ٢١٧ .
(2) ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر: ٣/٩ .

ثالثا : الامير تيمور لنك واعتداءاته على بلاد الشام :

عادت مخاطر المغول تهدد بلاد الشام ومنها شرقي الاردن حينما بدأ الامير تيمورلنك يتطلع الى المنطقة ويسعى الى اسقاطها وقد حاول تخويف وارهاب السلطان المملوكي "برقوق" يوم ارسل اليه رسالة تهديد ووعيد يطلب منه الايضاح والخضوع والطاعة في الوقت الذي الحق تيمورلنك الهزيمة بالسلطان "احمد بن اويس" حاكم تبريز ومما جاء في رسالة تيمورلنك للسلطان برقوق :

"... وانتم ان اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا فلكم مالنا وعليكم ما علينا وان خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا انفسكم فالحصون منا مع تشييدها لا تمنع والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا فلا يسمع فكيف يسمع الله دعاؤكم وقد اكلتم الحرام وطغيتم جميع الانام واخذتم اموال الايتام وقبلتم الرشوة من الحكام. فابشروا بالمذلة والهوان يا اهل البغي والعدوان وقد غلب عندكم اننا كفرة وثبت عندنا والله انكم الكفرة الفجرة وقد سلطنا عليكم الاله ... "[1]

فبالاضافة الى السياسة التوسعية التي سعى إلى تحقيقها الامير تيمورلنك في بلاد الشام ثمة اسباب مباشرة وراء حملته عليها منها ان قرا يوسف التركماني صاحب تبريز قبض على الامير المغولي اطلامش قريب تيمورلنك وارسله الى الظاهر

---

*- للمزيد حول سيرة حياة تيمورلنك انظر، يكوبوفسكي، تيمورلنك وصف موجز لسيرة حياته، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، المجلد الخامس عشر، العدد السابع (١٩٨٨م) : ٩٢ – ١٤٦ .

[1] انظر نص الرسالة التيمورية كاملة في كتاب النجوم الزاهرة : ١٢/ ٤٣،٤٤،٤٥ويقول المؤرخ ابن عربشاه: و"لما استنقى (أي تيمور) سيواس لحما ونقبا واستوفاها حصدا ورعيا فوق سهام الانتقام الى نحر ممالك الشام بجنود ان قيل كالجراد منتشر فالجراد كان من اعوانها او مالسيل المنهمر فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها او كالفراش المبثوث، فالفراش يحترق عند تطاير سهامها : سهامها !،عجائب المقدور في نوائب تيمور : ١٩٤ .

برقوق قاعتقله[1]، ومنها يوم اسقط تيمورلنك عين تاب من مدن الشام (شمالي مدينة منبج في محافظة حلب) طلب من نواب الشام ارسال اطلامش اليه وكان تيمور يلح في طلبه كثيرا وجعل ذلك حجة وسببا لعداوة دولة المماليك وقد ارسل الى برقوق ما نصه "انه هو اولى بسياسة الانام وان من نصبه هو الخليفة والامام وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع والمطاع وما سواه من ملوك الارض له خدم واتباع وانا لغيره دربه الرياسة ؟ وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسة ؟"، الا ان المماليك رفضوا مطالبه وامر سيدي سودون نائب الشام بضرب راس رسول تيمورلنك[2]. فاتخذ من هذه الحادثة ذريعة لاجتياح بلاد الشام .

وقد بدأت مناطق شرقي الاردن تستقطب النازحين والمهاجرين قبيل اجتياح تيمورلنك للمناطق الشامية الشمالية ويوم دخلت القوات المغولية مدينة حلب يوم الخميس (٩ ربيع الاول سنة ٨٠٢هـ/١٤٩٩م)[3]، مارسوا بها سياسة همجية بشعة تسببت ليس فقط بدمار المدينة بل بهجرة سكانها وسكان المدن الاخرى تجاه مصر ومناطق شرقي الاردن فيوم السبت (١١ ربيع الاول ٨٠٢هـ/١٤٩٩م) أشعل المغول النار بمدينة حلب واخذوا في الاسر والنهب والقتل فهرب سائر نساء البلد والاطفال الى جامع حلب وبقية المساجد فمال اصحاب تيمورلنك عليهن وربطوهن بالحبال اسرى ثم وضعوا السيف في الاطفال فقتلوهم بأسرهم ... وصارت الابكار تفتض من غير تستر، والمخدرات يفسق فيهم من غير احتشام[4]، ولم يكتف المغول

---

(1) ابن حجر العسقلاني : ابناء الغمر : ٢٨٥/٣ واطلامش هو زوج بنت اخت تيمورلنك ابن عربشاه عجائب المقدور :١٩٨ .

(2) ابن عربشاه،عجائب المقدور في نوائب تيمور :١٩٩.

(3) ابن تغري بري،النجوم الزاهرة :١٧٩/١٢ .

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :١٨٠/١٢ ابن عربشاه، عجائب المقدور :٢١٠ .

بممارسة هذه الاساليب البشعة بل عملوا من رؤوس قتلى المسلمين منابر عدة مرتفعة من الارض نحو عشرة اذرع في درو عشرين ذراعا، حسب ما فيها من رؤوس الناس فكان زيادة على عشرين الف رأس ولما بنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يمر بها[1] ويصف ابن اياس حال حلب عندما احتلها تيمورلنك بالقول: "وقد اسرفوا في القتل ونهب الاموال وصارت الارجل لا تطأ الا على جثة انسان لكثرة القتلى ... فكان عدة من قتل في هذه الواقعة من اهل حلب من صغار وكبار ونساء ورجال نحوا من عشرين الف انسان"[2] كذلك تعرضت مدينة حماة الى السلب والنهب والقتل والاسر، واشعلت النيران في ارجاء المدينة فصارت كمدينة حلب وذلك في (١٤ ربيع الاول سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[3]، اما في (٨ جمادى الاولى سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) فقد وقع تيمورلنك والعساكر المملوكية بقيادة السلطان فرج بن برقوق موقعة عظيمة صدم المغول المماليك صدمة هائلة انكسر فيها المماليك[4]، اما اكثر المخاطر واشدها ضررا على سكان الشام هي هرب السلطان فرج الى مصر يوم الجمعة (٢١ جمادى الاولى سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) تاركا بلاد الشام واهلها بمواجهة الجيش المغولي منفردة[5]، وحينئذ حل بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف واجرى عليهم انواع العذاب من الضرب والعصر والاحراق بالنار ... واستمر هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما اخرها يـوم الجمعة (٢٨ رجب من سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)،

---

(1) ابن اياس، بدائع الزهور : ٣٢٧/١ .
(2) ابن اياس /بدائع الزهور جـ١ق ٢: ٦٠٠-٦٠١، ابن عربشاه عجائب المقدور في نوائب تيمور : ٢٢٦، المقريزي، السلوك: ١٠٣٣/٣ -١٠٣٤ .
(3) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة :١٨٧/١٢ .
(4) المصدر نفسه : ١٨٨/١٢ .
(5) ابن اياس، بدائع الزهور : ٣٣٣/١ المقريزي، السلوك جـ٣ ق٣ : ١٠٥١ ابن عربشاه، عجائب المقدور: ٢٨١-٢٨٦، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة : ١٩٤/١٢-١٩٥ .

فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم الا الله ثم طرحوا النار في المنازل والدور وكان يوم عاصف الريح فعمّ الحريق جميع البلد[1] فكان اخر ما قام به تيمورلنك من اعمال المجازر والتنكيل قبل ان ينسحب من دمشق اصداره الامر بجمع من بقي حيا من الأطفال ... فجمعوا له اطفال المدينة الذين اسروا فكانوا ما بين خمس سنين الى شهر وشهرين ثم امر العسكر بسوق الخيول عليهم فساقوا بالخيل حتى ماتوا جميعا، وكانوا نحوا من عشرة الاف طفل[2] .

ان ما تعرضت له مدن الشام كحلب وحماة ودمشق من مجازر بشرية بشعة وتدمير شامل طال المساجد والمدارس والمنازل، واستنزاف لاقتصاد تلك المدن، ومصادرة ممتلكات الناس واحراق المدينة كانت مبررا شرعيا امام الناس للهروب بأنفسهم طلبا للسلامة والامان وقد اشارت المصادر التاريخية الى هجرات سكانية كبيرة جدا سواء باتجاه مصر او باتجاه شرقي الاردن التي كان نصيبها من اعداد المسلمين النازحين كبيرا ولا نستغرب حدوث مثل هذه الهجرات باتجاه الاردن من قبل عامة المسلمين اذا ما عرفنا ان السلطان فرج بن برقوق كان اول المبادرين للهروب من امام الزحف المغولي ثم لحق به بقية امراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم لما علموا بخروج السلطان من دمشق فقد خرجوا في الحال في اثره طوائف يريدون اللحاق بالسلطان ولأن الخوف سيطر عليهم فمنهم من التجأ الى الاردن وأغوارها ومنهم من توجه الى مصر اما من جاء الى شرقي الاردن فقد اخذهم قبائل العشير وسلبوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا[3]، كذلك انهزم الجيش

(1) ابن اياس بدائع الزهور :٢٣٥/١ .
(2) ابن تغري بردي النجوم : ١٨٩/١٢ .
(3) المصدر نفسه : ١٨٧/١٢ .

الغزاوي الذي كان يرافق السلطان فرج الى نواحي حوران[1]، ويبدو ان منطقة شرقي الاردن كانت ممرا سهلا لغالبية هؤلاء الفارين من قادة الدولة المملوكية فيذكر ابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ان منهم من ركب البحر الميت عبر اراضي شرقي الاردن ووصلوا الى القاهرة في أسوأ حال[2] اضافة الى من هربوا الى مناطق ريف حوران كبلاد أذرعات والمناطق الشمالية من شرقي الاردن كاربد وعجلون وقراهما وقد التجأوا الى تلك المناطق للاحتماء بها من خطر المغول بسبب حصانتها وصعوبة اجتيازها[3] وفي ليلة الاربعاء (٢٨ ربيع الاخر سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) وصلت طائفة، منهم شهاب الدين الحلبي وجمال الملكاوي واخبروا ان بقية القفل تواجهوا الى بلاد اذرعات وعجلون[4]، لم تكتف مناطق شرقي الاردن بايواء المشردين الهاربين من مدائن الشام وتوفير كافة المتطلبات العيش والامن لهم، بل سارعوا لما ادركوا خطورة الهجمات المغولية على بلاد الشام، إلى الانضمام للقوات الاسلامية ممثلة بدولة المماليك وان الامير شهاب الدين احمد بن الشيخ توجه الى الاغوار (الاردنية) وجمع خلقا كثيراً منهم عيسى بن فضل امير آل علي وبني مهدي وعرب حارثة،

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ١٨٩/١٢ .

(2) ابن حجر، انباء الغمر: ٢٠٠/٤ .

(3) شوكت حجة، تاريخ شرقي الأردن في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير ١٩٩٦م، جامعة اليرموك : ٩٠ .

(4) مؤرخ مجهول، قطعة من تاريخ القرن التاسع الهجري، ورقة ٢٤٣ب، مخطوط في مكتبة تشستربتي، دبلن- ايرلندا، رقم (٤١٢٥)، ومنها نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، رقم ٤١٢٥، ويبدو أن هذا المخطوط عرف باسم الذيل على تاريخ ابن كثير، والمعروف بتاريخ ابن حجي.

وابن القان والغزاوي الذين التقوا بالقوات التيمورية والتي تزيد على الفي فارس فقاتلوهم وقتلوا اكثرهم واخذوا منهم ذهبا ولؤلؤ كثيراً[1] اضف الى ذلك فان همجية المغول قد أصابت المناطق الشمالية من شرقي الاردن وتعرض العديد من مدنها وقراها لعمليات السلب والنهب والقتل وهذا ما اكده المؤرخ البدر العيني حينما قال : واما التي وقع فيها الخوف واخلاء اهلها منها فدمشق وحلب وحماه وحمص ثم القدس ونابلس وبيسان وحتى عجلون[2]. ويذكر صاحب كتاب (قطعة من تاريخ القرن التاسع الهجري) انه جاء كتاب قاضي أذرعات وارد من بلاد عجلون انه متوجه الى بلاده (دمشق)، وان الناس تراجعوا الى بلادهم بعدما تبين لهم خروج المغول من الشام، وانه لم يبق هناك أحد بعدما اقامو ببلاد أذرعات أياماً، اخذ المغول جميع ما فيها من القمح الذي في الابار وجميع الحوائج والمتاع وانهم اسروا اناسا دلوهم على ذلك وانه هلك بمخابيء حبراص (اربد) اربعمائة وخمسون وبموضع اخر خلق وبقرية اخرى خمسون وانهم اخذوا الاغنام والابقار والـــدواب[3] .

---

[1] المقريزي، السلوك، جـ٣ ق٣ : ١٠٤٢-١٠٤٣ .

[2] العيني (ت ٨٥٥هـ-١٤٥١م) بدر، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (حوادث سنة ٧٩٩-٨٣٠ هـ) مخطوط في المكتبة المصرية باريس رقم ١٥٤٤ومنها نسخة مصورة بالجامعه الاردنية رقم ٢٦١ ورقة ٤٤أ.

[3] مؤرخ مجهول المصدر نفسه : ورقة رقم ٢٤٦ب .



المظاهر الحضارية لشرق الاردن في العصر المملوكي

لقد انبثق عن رعاية واهتمام سلاطين الدولة المملوكية لشرقي الاردن منذ تأسيس الدولة المملوكية وفرض سيطرتها على شرقي الاردن سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ولغاية سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م وهي نهاية الدولة المملوكية انبثق عن ذلك العديد من المظاهر الحضارية الامر الذي يشير الى دور الاردن ارضا وشعبا في عملية التقدم الذي اصاب دولة المماليك سواء اكان ذلك على الصعيد السياسي العسكري ام علي الصعيد الثقافي والاقتصادي والاداري .

وهنا، سوف نتطرق الى جميع المظاهر الحضارية التي حظيت بها مناطق شرقي الاردن اثر الاهتمام الكبير بها من قبل معظم سلاطين المماليك، وكذلك دور هذه المنطقة بمجتمعاتها المختلفة في افراز تلك المظاهر الايجابية والتي تعد حالة من التطور النوعي في تلك العصور .

اولا : المظاهر الادارية :

كان من مظاهر عناية سلاطين المماليك بمنطقة شرقي الاردن شمولها بنظم ادارية بهدف ربطها بعاصمة الدولة مدينة القاهرة لما للعديد من مناطق شرقي الاردن من اهمية استراتيجية كبيرة سواء على الصعيد العسكري ام على الصعيد الاقتصادي والتجاري، وقد استرعت مدينة الكرك والشوبك وعجلون والسلط والاغوار انتباه واهتمام معظم سلاطين المماليك وجدّوا في السيطرة عليها وجعلها من المناطق ذات المواقع العسكرية المتقدمة لتحقيق مصالحهم فيها، ثم الحيلولة دون تقدم الاعتداءات على حدود الدولة الشرقية .

ولقد كانت بلاد الشام في العصر المملوكي تتقسم الى ست قواعد ادارية كبرى وتسمى واحدتها نيابة او مملكة : وهي دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد

والكرك وكانت مملكة دمشق اوسع تلك الممالك فشملت اواسط سوريا والجزء الاكبر من فلسطين والمناطق الشمالية من شرقي الاردن[1] وعندما نستعرض مصادر العهد المملوكي التاريخية والجغرافية نجد ان الوضع الاداري لمنطقة شرقي الاردن في العصر المملوكي ينقسم الى قسمين اداريين القسم الجنوبي ويمثل مملكة الكرك والقسم الشمالي ويمثل نيابة عجلون وولاية البلقاء واستدارية الاغوار[2]. انا نيابة الكرك فقد انقسمت الى اربعة اعمال هي على التوالي: عمل برها، وهي المناطق المحيطة بمدينة الكرك وعمل الشوبك وعمل زغر وعمل معان واحيانا كانت منطقة البلقاء تضاف الى نيابة الكرك وذلك تبعا للاوضاع السياسية السائدة والمرتبطة بقوة وضعف نائب السلطنة، ولد تمتعت نيابة الكرك باستقلال تام حيث ادارت شؤونها الداخلية بذاتها[3] .

وكان يتولى كل من هذه الولايات وال يعين من قبل نائب السلطنة بالكرك وكانت مكاتباتهم تقتصر على نائب الكرك ويرابط في تلك الولايات اجناد لمساعدة الولاية يعينون من قبل النائب ويسند الى قاض يقيم مع الوالي في مركز الولاية ووجدت وظيفة ادارية اخرى الى جانب متولي الولاية هي وظيفة والي البر ومركزه مدينة الكرك وعمله يختص بالامور المتعلقة ببرها الكائن ظاهرها والمناطق المجاورة لها[4] . وقد اضيف الى نيابة الكرك وظيفة نائب القلعة والتي كانت وظيفة مستقلة

---

[1] القلقشندي صبح الاعشى :٤/٤٦٨.
[2] المصدر نفسه :٤/١٠٧-١١٠.
[3] ابن فضل الله العمري،دولة المماليك الاولى، تحقيق دورتيا كرافولسكي المركز الاسلامي، البحوث بيروت ١٩٨٦م:٢١٥ . غوانمة التاريخ الحضاري لشرقي الاردن :٢٧
[4] غوانمة، التاريخ الحضاري : ٢٩ – ٣٠ .

عن نيابة السلطنة حيث يتولى هذا المنصب بمرسوم يصدر من عاصمة الدولة في القاهرة،ويختار عادة من بين مقدمي الالوف او امراء الطبلخاناة*، ويقيم في دار السعادة بالقلعة والسلطان بيبرس هو اول من استحدث هذه الوظيفة بقلعة الكرك سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، إذ ندب الى ولاية قلعة الكرك الامير شمس الدين صواب السهيلي وهو اول من تولى هذا المنصب[1]، كما وجدت العديد من النظم الادارية في نيابة الكرك كوالي المدينة والحاجب ونقيب الجيش والمهمندارية وتقدمه البريد كما اوضح المؤرخ الشهير القلقشندي العديد من الوظائف الدينية التي كانت تعتمدها دولة المماليك في نيابة الكرك وبقية النيابات الاخرى فذكر الوظائف التالية: القاضي وكاتب القاضي وحاجب القاضي ونقيب القاضي وامناء القاضي والشهود، ثم اشار الى وظيفة الخطابة ووظيفة التداريس[2]، كما اشار القلقشندي الى الوظائف الديوانية كوظيفة ناظر الكرك ووظيفة كاتب السر وناظر الجيش وناظر بيت المال[3] .

اما حدود نيابة الكرك فكانت تبدأ من العلا وعقبة الصوان وقيل من ايلة (العقبة) جنوبا الى قاطع نهر الموجب فزيزياء شمالا وتمتد من الخط الواصل ما بين

---

* المراد بها ما نسميه في عصرنا موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي، وأمير الطبلخاناة هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه، ويكون أمير أربعين ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين، ويعد أمير الطبلخاناة في الدرجة الثانية بين الأمراء، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م: ١٠٦ ـ ١٠٧ .

[1] القلقشندي، صبح الاعشى :٢٤١/٤،٢٤٢المقريزي السلوك :٦٥٧/٣ .

[2] المصدر نفسه : ٢٥٥/٩، ٢٨٢/١٠، ١٩٣/٤ .

[3] المصدر نفسه : ١٨٨/٤، ٢٥٧/٩، ٢٥٨ .

الجفر وباير والازرق عبر بادية الشام شرقا الى الخط الواصل ما بين البحر الميت والعقبة عبر وادي عربة وسينا غرباً[1]، وعلى الرغم من اهمية نيابة الكرك بالنسبة لدولة المماليك فانها كانت تلحق ببعض الممالك الشامية الاخرى وذلك بسبب ضعف السلطة المركزية او الاعتداءات المتكررة من قبل العربان فقد الحقت بنيابة بيت المقدس سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م) كما اضيفت الى نيابة صفد (٩١٦هـ/١٥١٠م) ثم الحقت بنيابة غزة في السنوات الاخيرة لعصر دولة المماليك وذلك سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)[2] .

اما ولاية البلقاء فكانت ولاية تابعة لنيابة دمشق وفي بعض الاحيان كانت تضم الى نيابة الكرك كما حدث في عهد السلطان الملك المسعود بن الظاهر بيبرس اثناء ثورته في الكرك عندما توسع شمالا على حساب اراضي البلقاء وضم السلط الى نيابته[3]، اما هذه الولاية فكانت تمتد من نهر الموجب جنوبا الى وادي الزرقاء شمالا ومن الاغوار غربا الى الازرق والبادية شرقا وقد ضمت هذه الحدود عددا من المدن الهامة كحسبان وهي قاعدتها والسلط ومؤاب وعمان، اما الوضع الاداري لمدينة السلط فكان على ثلاثة اوجه اما ان تكون مستقلة او مضافة الى ولاية البلقاء او ان تلحق بنيابة عجلون[4] .

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى :١٦٢/٤، سيكون هناك ملحق بأسماء نواب الكرك في عصر دولة المماليك الأولى (التركية) ودولة المماليك الثانية (الجركسية)، وسيأتي هذا الملحق في نهاية الدراسة .

(2) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، ١٩٨٤م : ٩٤/٤ .

(3) غوانمة، القسم الحضاري من تاريخ شرقي الاردن :٤٨ .

(4) القلقشندي، صبح الاعشى :١١٠/٤ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة ق٢:٠٨٣

اما نيابة عجلون فلم تكن ولاية كالبلقاء بل كانت نيابة صغيرة ملحقة بنيابة دمشق وخضعت التولية فيها لنائب دمشق ومنذ سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) اصبح لهذه النيابة اهمية كبيرة الى درجة ان تولية نائبها اصبحت تصدر مباشرة من الابواب السلطانية في القاهرة[1]، وقد امتدت نيابة عجلون من نهر الزرقاء جنوبا الى نهر اليرموك شمالا ومن الاغوار غربا الى بادية الشام شرقا وكانت الباعونية قاعدة لهذه النيابة وتضم هذه النيابة عددا كبيرا من المدن والقرى كمنطقة الصويت (وهي منطقة بين جبال عجلون وجرش وتمتد شرقا حتى ام الجمال) واربد وحبراص وبيت راس وملكا وام قيس (جدارا) والضليل والمفرق وايدون والرمثا وغيرها الكثير من المدن والقرى والاخرى[2]. ومثال على من تولى مسؤولية عجلون والبلقاء فقد ذكر المؤرخ الشهير ابن طولون انه في ربيع الاخر يوم الاثنين ١٩ (٨٨٦هـ/١٤٨١م) لبس ابراهيم بن شاديك الجلباب في خلعه استادارية السلطان بالاغوار ونيابة الصلت وعجلون[3].

اما مناطق الاغوار فكانت تتبع اداريا نيابة دمشق باستثناء ما يختص نيابة الكرك وهي الشريعة القبلية المحيطة بالبحر الميت وقد استقل نائب دمشق في الاشراف عليها وقان بتنصيب مسؤول عنها عرب (ستادار) او متكلم الاغوار او متولي الاغوار[4]. ولقد فوض الى الامير تاني بك مملوك السلطان استادارية الاغوار[5] .

---

[1] غوانمة، القسم الحضاري :٥٠

[2] ابن شداد الاعلاق الخطيرة، ق٢ص٨٧-٨٨ القلقشندي صبح الاعشى :١٠٩/٤.

[3] ابن طولون مفاكهة الخلان :٤٠/١ .

[4] ابن الصيرفي، انباء الهصر القاهرة ١٩٧٠م:١٦٣.

[5] ابن طولون مفاكهة الخلان :١٤٠/١.

ثانيا : المظاهر العلمية والثقافية :

لقد ارست السياسة الايوبية قواعد الحركة العلمية والثقافية الاولى في منطقة شرقي الاردن وذلك من خلال رعاية وحرص كافة سلاطين بني ايوب على نشر العلوم والمعرفة بشتى ميادينها وبذلك تكون هذه الاسرة الاسلامية سببا رئيسيا في تطور الحركة العلمية في العهدين المملوكيين التركي والجركسي الذين تأثروا بشكل مباشر بسياسة الايوبيين العلمية والادارية وقد اوضح ذلك المؤرخ الشهير ابن خلدون عندما راح يصف حال دولة المماليك الثانية التي عاش في كنفها بقوله : "اهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون – على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني ايوب – بانشاء المدارس لتدريس العلوم والخوانق لاقامة رسوم الفقراء ...فيختطون مبانيها ويقفون الاراضي المغلة للإنفاق منها على طلبة العلم .. واقتدى بسنتهم في ذلك من تحت ايديهم من اهل الرياسة والثروة فكثرت لذلك المدارس والخوانق ... وكان ذلك من محاسن هذه الدولة التركية واثارها الجميلة الخالدة[1] . ولا شك ان الهدف من سياسة الاكثار من المدارس ودور العلم ايام العهد المملوكي كان لخدمة الدين الاسلامي بالدرجة الاولى وما يتفرغ عنه من علوم عقائدية وتشريعية مختلفة وقد كان السلاطين والوزراء والامراء والاغنياء والعلماء المقتدرين هم الذين اسسوا تلك المدارس ودور العلم بحيث كان لديهم الامكانات الاقتصادية الوفيرة لوقف مختلف انواع الاملاك والعقارات التي تغذي مؤسسات التعليم بمصادر المادة والنفقات ومن جملة ما يوقف على هذه المدارس عدد كبير من القرى والضـــياع.

---

[1] عبد الحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا منشورات دار الكتب اللبنانية، بيروت ١٩٧٩م:٣٠٤.

والنواحي والحمامات والفنادق والحوانيت والاملاك والاراضي[1] مما يؤكد على ان العصر المملوكي قد ارسى قواعد نهضة علمية وثقافية في مصر والشام بما في ذلك منطقة شرقي الاردن حيث اقيمت فيها مدارس انتشرت في معظم مدنها ونواحيها واصبحت الكرك احدى المراكز الثقافية الهامة في بلاد الشام اذ ينتجعها طلبة العلم لتلقي العلوم على شيوخها وفقهائها والاستماع اليهم واجازتهم[2]، كما ان عجلون والسلط وعمّان وحسبان كانت هي الاخرى مراكز علمية هامة زخرت بالعشرات من العلماء والفقهاء وفيها اعداد كبيرة من طلبة العلم وظلت محط اهتمام سلاطين وعلماء الدولة المملوكية .

ازدهرت الحركة العلمية في عموم مصر وبلاد الشام كما حظيت شرقي الاردن بنصيب وافر من ذلك الازدهار والتطور اذ اصبح ذلك شعارا للدولة المملوكية وميدان تنافس بين السلاطين والامراء ونواب المناطق حتى اصبحت المدن والقرى الواقعة شرقي الاردن مراكز اشعاع علمي وثقافي انسحبت على سائر بلاد الشام ومصر حيث احتلوا امكنة مرموقة في بناء الحركة العلمية وتطويرها فتقلدوا مناصب هامة كالتدريس والقضاء فنجدهم ينتشرون في دمشق وحلب وحمص وحماة وطرابلس وبعلبك وصفد ونابلس والقدس والخليل والناصرة وغزة والرملة والقاهرة والاسكندرية والمحلة ودمياط وغيرها[3] . حتى صار قضاء دمشق يتعاقب

---

[1] المقريزي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار: ٢/ ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٤.

[2] النعيمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، حققه جعفر الحسني، مطبعة الترقي بدمشق، ١٩٤٨م : ٦٧/١ .

[3] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ١٦٧/١، ١٦٨، غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان، ١٩٨٢م : ١٥٩ .

عليه قضاة من عائلة الحسباني او الباعوني او من سمي بالصلتي[1] .

وتؤكد المصادر التاريخية المملوكية المختلفة ان االمدارس كانت منتشرة في سائر البلاد التي يسيطر عليها المماليك وشهدت توسعا زائدا في عمل الاوقاف التي كانت في حد ذاتها قوة وطاقة محركة لزيادة النشاط التعليمي الديني والدنيوي فأدى ذلك بالتالي الى تزايد مضطرد في انشاء المساجد والمدارس والاربطة والخانقاوات والزوايا لممارسة مختلف النشاطات العلمية والتعليمية[2]، والواقع يشير الى ان تلك المصادر اظهرت الكثافة العددية الكبيرة للمدارس التي نشأت في القاهرة ودمشق وذلك امر طبيعي لان القاهرة كانت مركز الحكم ومقر الدولة بينما دمشق فكانت لا تقل اهمية عن القاهرة اذ شكلت مركز الثقل الثاني للدولة المملوكية مما دفع بطلبه العلم وحتى العلماء للرحيل اليها للتعليم والتعلم وهو السبب الذي جعل علماء شرقي الاردن على اتصال وثيق بعلماء ومدارس كل من القاهرة ودمشق وبرغم ذلك فقد حظيت الحركة الثقافية والعلمية في شرقي الاردن برعاية واهتمام سلاطين الدول المملوكية لا سيما جمهور العلماء على اختلاف مذاهبهم بالاضافة الى نشر المذهب السني من خلال تعميم المراكز العلمية على سائر الاقاليم التابعة لدولة المماليك ومنها منطقة شرقي الاردن وبناء على ذلك ركزت الدولة في تحقيق رغبتها في نشر المذهب السني على تغليب العلوم الدينية كالقران الكريم والحديث والفقه واصول الدين واللغة العربية وعندما نتفحص المصادر التاريخية

---

[1] المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك :١٠٨١/٣، ١١٦٨ و١٤/٤، غوانمة، التاريخ الحضاري :١٦٠.

[2] حياة ناصر الحجي، السلطان محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، الكويت، ١٩٨٣م: ٥٥- نقلتها بدورها عن المقريزي المواعظ والاعتبار جـ٢ (قائمة الجوامع والمساجد والربط والزوايا والخانقاوات).

وثيقة الصلة بالعهد المملوكي فاننا نقف على عدد لا يستهان به من المدارس التي انتشرت في منطقة شرقي الاردن، فيذكر ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م) مدرسة الشافعية في الكرك والتي بناها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧١١هـ/١٣١١م)، حيث عهد بهذه المهمة الى اميره سنجر بن عبدالله الجاولي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٥م)[1]، كما يشير المقريزي الى المدرسة الصالحية في الكرك[2]، في الوقت الذي لم يبين بانيها ومتى انشئت، ثم بنيت المدرسة اليقينية في عجلون والتي تعرضت للهدم حينما اجتاحت عجلون سيول جارفة سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٨م)[3]،ومدرسة صرغتمش التي امر ببنائها الامير صرغتمش الناصري نائب السلطنة بالديار المصرية سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) حيث اهتمت هذه المدرسة بتدريس المذهب الحنفي على غرار المدرسة التي أنشأها في القاهرة[4]، ثم مدرسة حسبان[5]، والمدرسة السيفية في الصلت (السلط) التي بناها الامير سيف الدين بكتمر الحسامي لتدريس المذهب الشافعي وخصص لها مكتبة كبيرة وخزانة للكتب[6]، كما اهتم سلاطين وامراء دولة المماليك ببناء البيمارستانات (المشافي) وقد خدمت هذه الابنية والمنشات المجتمع وعادت بفوائد اجتماعية وتعليمية كبيرة كمـــا اعانت المحتاجين

---

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦م : ٢٦٦/٢ .

(2) المقريزي السلوك جـ٢ق٢ : ٥٤٦ .

(3) النويري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) نهاية الارب في فنون الادب ٣١/لوحة ٩٢ مخطوط، غوانمة التاريخ الحضاري ١٦٥ .

(4) المقريزي السلوك ٣٠/٣ غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الاردن ١٦٤، ١٦٥

(5) ابن حجر انباء الغمر :٢٩٧/١ .

(6) النعيمي الدارس : ٢٧٥/١ .

والفقراء بهدف الصدقة[1]، ومن المعروف انه تم بناء العديد من البيمارستانات في مناطق شرقي الاردن منها الذي امر ببنائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وعرف بالبيمارستان الناصري اذ عهد بانشائه الى الامير سنجر بن عبدالله الجاولي[2]، ومما هو جدير بالذكر، ان علماء وفقهاء منطقة شرقي الاردن ظلوا يرتقوا بتعليمهم وفقههم حتى بلغوا مراتب ومناصب عليا في الدولة المملوكية، وهي مناصب هامة جدا الا انها محدودة بالطبع فقد عين القاضي علاء الدين علي المقيري الكركي الشافعي كاتبا لسر الديار المصرية وذلك بأمر السلطان الظاهر برقوق[3]، (٧٨٤هـ-٨٠١هـ / ١٣٨٢م-١٣٩٨م)، كما جعل السلطان برقوق الشيخ ابو عبدالله محمد بن سلامة النويري الكركي عنده بمنزلة عالية رفيعة، حتى كان يجلسه فوق قضاة القضاة بمصر[4]، وعين قاضي القضاة عماد الدين احمد بن عيسى الكركي قاضيا لقضاة الشافعية بالديار المصرية[5]، اما السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي (٨٧٣هـ-٩٠١هـ/ ١٤٦٨م-١٤٩٥م) فقد عين الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن المجد الكركي اماما خاصا له كما تولى منصب قاضي قضاة الحنفية بالقاهرة[6]. كما تولى العلامة البرهان الكركي منصب شيخ الشيوخ أيام

---

(1) حياة الحجي السلطان الناصر ٨٣ غوانمة التاريخ الحضاري ١٦٦، ١٦٧،١٦٨، ومحمد محمد أمين الاوقاف والحياة الاجتماعية في عصر دولة المماليك القاهرة ١٩٨٠م:١٠٧، ١٠٨.

(2) ابن حجر الدرر :٢٦٦/٢ .

(3) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة :١٠٢/١٢ المقريزي السلوك :٩٤٢/٣ .

(4) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة :١٢٩/٢ .

(5) المصدر نفسه ٢٥٩/١٢ .

(6) ابن طولون مفاكهة الخلان :١٤١/١ .

الملك الأشرف قايتباي[1] .

اما في دمشق فقد برزت شخصيات فقهية وعلمية جاءتها من مناطق شرقي الاردن، ويعود ذلك الى ان دمشق هي حاضرة الشام، فقد عين الفقيه عماد الدين الحسباني قاضيا لقضاة دمشق في اواخر الدولة المملوكية الاولى[2]، كما تولى الشيخ احمد بن اسماعيل الحسباني قضاء دمشق سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م وسنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، وكذلك من سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) ولغاية سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) وذلك في عصر السلطان برقوق وولده السلطان فرج[4]، ونصب الشيخ عماد الدين يوسف بن احمد الباعوني قاضيا لقضاة دمشق من سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٤م) ولغاية سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥١م) [5]، ثم تولى قضاء دمشق خمس مرات من سنة (٨٥٤هـ) وحتى سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)[6]، كذلك تولى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد الحسباني قاضي قضاة الاحناف بدمشق ايام سلطنة الملك الاشرف قايتباي .

---

[1] ابن الجيعان، بدر الدين ابو البقاء القول المستظرف في سفرمولانا الملك الاشرف او رحلة قايتباي الى بلاد الشام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م تحقيق عمر تدمري منشورات جروس برس طبعة اولى : ١٩٨٤م : ٤٨.

[2] النعيمي الدارس في تاريخ المدارس ٢٠٠/١ .

[4] الانصاري (ت بعد ١٠٠٢هـ) شرف الدين موسى نزهة الخاطر وبهجة الناظر حققه عدنان محمد ابراهيم وزارة الثقافة واحياء التراث العربي دمشق ١٩٩١م: ١١٢-١١٣،١١٤ السخاوي الضوء اللامع ٢٣٧/١،٢٣٩ .

[5] الانصاري نزهة الخاطر جـ١ ص١١٦-١١٧,١١٨ ابن طولون مفاكهة الخلان :٥٩/١، ٦٢ .

[6] ابن طولون مفاكهة الخلان :٧٢/١ .

اما من حيث دور علماء وفقهاء وتلاميذ منطقة شرقي الاردن فقد ساهموا كثيرا في تطوير الحركة العلمية والثقافية في العهد المملوكي، كما نهضوا في بناء الدولة المملوكية ونشروا العلوم في ارجائها جنبا الى جنب مع بقية علماء الشام ومصر، حتى ابدعوا في شتى العلوم والمعارف، كالدراسات القرآنية وعلوم الحديث، وعلوم اصول الفقة واللغة والشعر والطب، كذلك برهنوا على حضورهم الدائم والمثمر في مختلف المراكز العلمية، ولكي نتعرف على دور هؤلاء العلماء في نهضة الحركة الثقافية والعلمية في عصر دولة المماليك نجد من الاهمية بمكان التعريف ببعض اعلام شرقي الاردن، من العلماء والفقهاء والمدرسين والقضاة وغيرهم .

كالحكيم الطبيب ابو الفرج بن يعقوب بن اسحق بن القف الكركي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) وهو من نصارى الكرك، كان والده صديقا لابن ابي اصيبعة ولذلك دفع به اليه وتتلمذ على يديه وطفق يخدم في قلعة عجلون وقلعة دمشق ومارس مهنة تدريس الطب في دمشق واستفاد على يديه، عشرات التلاميذ، من مؤلفاته "كتاب الشافي في الطب" و"شرح الكليات من كتاب القانون لابن سيناء" و "شرح الفصول لأبقراط" و"كتاب العمدة في صناعة الجراح"[1]، وابو الفضائل دانيال بن منكلي (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) احد المحدثين في دمشق والشوبك والكرك سمع منه علماء كبار كالبرزالي والامير سنجر الجاولي وتولى قضاء الكرك والشوبك وتوفي في الشوبك ودفن فيها[2]، وعلم الدين توما بن ابراهيم

---

[1] ابن ابي اصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطباء،المطبعة الوهبية، القاهرة ١٨٨٢م: ٢٧٣/٢، ٢٧٤ .

[2] ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب في اخبار من ذهب :٤٣٥/٥ ابن حجر، الدرر : ٢٦٨/٢ .

الطيب الشوبكي (ت٧٢٤هـ/١٣٢٤م) احد علماء الطب، في العهد المملوكي، صنف والف في علوم الطب منها، "اختصارمسائل حنين"،اختص به السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون واصبح من اطبائه المقربين[1]، ويوسف بن دانيال بن منكلي الكركي (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، حدث في الكرك والشوبك ودمشق، واقام بالكرك مدرسا وفقيها مفتيا وولي قضاء الشوبك[2]، ويوسف بن اسرائيل بن يوسف ابي الحسن الناصري الكركي (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) محدث كبير، حدث بدمشق، ومن تلاميذه الذهبي وابن رافع والبرزالي[3]، وقاسم بن ابي بكر العجلوني (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقيه شافعي، تولى قضاء الرحبة، وولي خطابة جامع جراح وتصدر بالجامع الأموي في دمشق، واشتغل بالتدريس في المدرسة "الشامية الجوانية"[4]، ومحمد بن يونس بن علي العجلوني (ت٧٤٩م/١٣٤٨م)، محدث عجلون، واحد الشعراء الموهوبين، سمع منه ابن قاضي شهبة بعض شعره في عجلون[5]، وقاسم محمد الاربدي الشافعي (ت٧٦٤هـ/١٢٦٢م) فقيه محدث، اشتغل بتدريس الحديث والفقه بالمدرسة " الاتابكية " بدمشق، ثم ولي قضاء اذرعات [6]،

---

[1] ابن حجر (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مصر، ١٩٦٦م: ٦٣/٢ .

[2] ابن حجر، الدرر : ٥/ ٢٢٨ .

[3] المصدر نفسه: ٣/٣ .

[4] النعيمي، الدارس: ٣٠١/١-٣١١، والمدرسة الشامية الجوانية بنتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب شادي بن مروان، النعيمي، الدارس : ١/ ٣٠١ .

[5] ابن قاضي شهبة، الأعلام بتاريخ أهل الشام: ٢/ ١٠٧، غوانمة، التاريخ الحضاري: ١٤٥ -١٤٦.

[6] ابن حجر، الدرر : ٣/ ٣٢٠، والمدرسة الأتابكية، انشأتها أخت أرسلان بن أتابك صاحب الموصل، النعيمي، الدارس : ١/ ١٢٩ .

والخطيب ابو عبد الله العجلوني (ت٧٧٢هـ/١٣٧١م) خطيب بيت لهيا في غوطة دمشق، ومدرسا بالمدرسة "الاتابكية" بدمشق ايضا[1]، وعماد الدين الحسباني (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م) احد الفقهاء الكبار، تولى قضاء القضاة بدمشق، وعمل بالتدريس في المدرسة "الامينية" بدمشق[2]، وتاج الدين الحسباني (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م) احد مشاهير القضاة في عصر دولة المماليك الاولى، درس بالمدرسة "الاقبالية" بدمشق ثم مدرسا بالمدرسة "الامينية" بدمشق ايضا، وولي فيها الحسبة[3]، والقاضي اسماعيل بن خليفة بن عبد العال الحسباني (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م)، تراس مدرسة المذهب الشافعي في دمشق، واشتغل بالتدريس في المدرسة "الفتحية" و"الجاروخية" و"الامينية" بدمشق، اشتهر بالتأليف من مؤلفاته "شرح المنهاج" في عشرة مجلدات، وكان بارعا في الفقه والاصول[4]، والشيخ حجي ابن موسى احمد السعدي الحسباني (ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م) انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي بدمشق، وحدث فيها وافتى[5]، ومحمد بن ابراهيم بن راضي الصلتي (ت٧٨٤هـ/١٣٨٢م) فقيها شافعيا كبيرا، اشتغل بالتدريس والعلم في المدرسة

---

(1) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس : ١/ ٢٩٦ .

(2) النعيمي، الدارس : ٢٠٠/١، والمدرسة الأمينية بناها أتابك العساكر بدمشق وكان يدعى بسيد الدولة "ربيع الإسلام" النعيمي، الدارس : ١٧٨/١ .

(3) النعيمي، الدارس : ١/ ٢٠١، المدرسة الإقبالية أنشأها جمال الدين إقبال خادم السلطان صلاح الدين الأيوبي، النعيمي، الدارس : ٢/ ١٥٩ .

(4) ابن قاضي شهبة، الاعلام بتاريخ أهل الشام: ٢/ ٢٣٩، غوانمة، التاريخ الحضاري:١٤١ والمدرسة الجاروخية،بناها جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين،النعيمي،الدارس: ٢٢٥/١،والمدرسة الفتحية،أنشأها الملك غالب فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة،النعيمي الدارس:٤٢٩/١.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١١/ ٢٠٦ .

الشامية، وولي القضاء في عدة اماكن في مصر بعدما رحل اليها[1]، والعلامة محمد ابن عبدالله بن احمد الهكاري الصلتي(السلطي) (ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م) احد فقهاء الشافعية، تلقى علومه في السلط على يد ابيه، ثم درس بعده فيها، ورحل الى الشام وتولى القضاء (قضاء البر) ثم قضاء القدس ونابلس والخليل وحمص، له مؤلفات فقهية عديدة، منها، "مختصر ميدان الفرسان" في ثلاثة مجلدات[2]، والقاضي الشيخ علاء الدين علي بن عيسى بن حميد الازرقي المقيري الكركي الشافعي (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م) عينه السلطان الملك الظاهر برقوق كاتب سر الكرك، ثم كاتب سر الديار المصرية[3]، والشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزري المغربي الكركي، (ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) كان عند الظاهر برقوق بمنزلة مكينة جدا حتى كان يجلسه فوق قضاة القضاة، وقد بعث السلطان مائتي دينار للقراءة على قبره مدة اسبوع[4]، والقاضي عماد الدين احمد بن عيسى الازرقي العامري الكركي الشافعي (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) قاضي قضاة الكرك ثم قاضي قضاة الديار المصرية في عهد السلطان الظاهر برقوق وولده فرج[5]، وشهاب الدين ابن الحباب (ت٨٠٠هـ/١٣٩٧م) تولى قضاء الشوبك وقام بالتدريس في دمشق بالمدرسة "الاسدية" وتوفي في العقبة وهو بطريقه الى الحج ودفن بالطفيلة[6]، وشهاب

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر : ١١/ ٢٦٨٢٦٨ .
(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب : ٢٩٢/٦ .
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٢/ ١١، ١٢، ١٠٢ .
(4) المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢ : ٩١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٢/ ١٢٩.
(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٢/ ٢٥٩ .
(6) النعيمي، الدارس : ١٥٧/١، والمدرسة الأسدية بناها أسد الدين شيركوه الكبير، النعيمي، الدارس: ١٥٢/١ .

الدين ابو العباس احمد بن راشد بن طرخان الملكاوي (ت ٨٠٣هـ /١٤٠٠م) فقيه محدث واصولي نحوي شافعي، قال عنه النعيمي : الشيخ الامام العلامة مفتي المسلمين، أقضى القضاة، احد العلماء المعتبرين وأعيان الفقهاء الشافعيين، درس في المدرسة "الدماغية " وناب في المدرسة الشامية الجوانية بدمشق، وكان في آخر عمره قد صار مقصودا بالفتاوي من سائر الاقطار[1].

والقاضي شمس الدين محمد بن عباس بن محمد بن عباس الصلتي (السلطي) (ت٨٠٧هـ /١٤٠٤ م) ولي القضاء في دمشق وبعلبك وحمص وحماه وغزه ايام السلطان برقوق والسلطان فرج[2]، والشيخ محمد بن عباس الصلتي (السلطي) (ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م) احد فقهاء المالكية الكبار، تولى قضاء دمشق ومنها انتقل إلى قضاء المالكية بمصر[3] وتولى قضاء القدس وحماة[4] والشيخ عيسى بن احمد بن منصور العجلوني (ت٨١٣هـ/١٤١٠م) الفقيه الشافعي، اشتهر بالخط العربي الجيد ولذلك كتب فيه الصحيحين في مجلد، وشرح النووي في مجلد[5] والقاضي احمد بن اسماعيل الحسباني (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) تولى قضاء دمشق من سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) ولغاية (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، له تعليقات على "الحاوي الصغير" وعلـى

---

[1] النعيمي، الدارس : ١/ ٢٤١-٢٤٢، السخاوي، الضوء اللامع: ١/ ٢٩٩ والمدرسة الدماغية بنتها جدة فارس الدين ابن الدماغ زوجة شجاع الدين ابن الدماغ العادلي (ت٦١٤ هـ) سنة ٦٣٨هـ، النعيمي، الدارس: ١/ ٢٣٦ .

[2] ابن تغري بردي، النجوم، الزاهرة: ١٢ / ٢٨٨ .

[3] الأنصاري، نزهة الخاطر : ١/ ١١٢ – ١١٣ .

[4] المقريزي، السلوك: ٣/ ١١٦٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٢/ ٢٨٨ .

[5] السخاوي، الضوء اللامع : ٦/ ١٥٠ .

"ألفية ابن مالك"[1]، وشهاب الدين احمد الحسباني (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) احد الحفظة المحققين، وشيخ الشافعية، وفقية الشام، كان يضرب به المثل بجودة ذهنه وحسن أبحاثه، وتولى التدريس في المدرسة" الامينية" بدمشق، كما درس بالمدرسة الاتابكية بدمشق[2]، وشرف الدين موسى بن احمد الرمثاوي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)، أقضى قضاة عصره، درس بالمدرسة"الاسدية" بدمشق، كما درس بالمدرسة"الرواحية" وأصبح ناظرها، ودرس بالمدرسة "الركنية الجوانية الشامية"[3]، وشهاب الدين الباعوني (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) نائب القضاة في دمشق[4]، وتولى القضاء في دمشق ومنها انتقل إلى خطابة القدس، ثم عين بعدها قاضيا في دمشق سنة (٨١٦هـ/١٤٠٩م)، بعدما جاء من قضاء مصر[5]، ودرس بمدارس دمشق، كالمدرسة "الشامية الجوانية" و "المدرسة الركنية"[6]، وشهاب الدين ابن حجي الحسباني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) كان شيخ الشافعية، واحد الأئمة العلماء، درس بالمدرسة "الاتابكية" بدمشق، وقال عنه تقي الدين الاسدي في ذيله: "و رأيت بخطه الأوليات المصادفة لمولدي عشرة، أول نصف القرن الثامن، أول السنة العربية، وأول السنة الشمسية، وأول يوم برج الحمل، وهو في علم الفلك[7]، عاصر الاجتياح

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع: ٢٣٧/١، الأنصاري، نزهة الخاطر:١١٢/١-١١٣.
[2] النعيمي، الدارس:١٦٤/١،٢٠٤.
[3] النعيمي، الدارس: ١٥٥/١-١٥٦-٢٥٥-٢٥٦، المدرسة الرواحية بناها زكي الدين ابو القاسم الناصر المعروف بابن رواحة، النعيمي، الدارس: ٢٦٥/١، والمدرسة الركنية بناها ركن الدين منكورس، النعيمي، الدارس: ٢٥٣/١.
[4] النعيمي، الدارس:١٤٤/١
[5] الأنصاري، نزهة الخاطر: ١١٠/١-١١١
[6] السخاوي، الضوء اللامع:٢٣١/١
[7] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ١٣٨/١-١٣٩

المغولي لبلاد الشام بقيادة تيمورلنك، وبذل جهدا كبيرا في الدفاع عن دمشق وسكانها ضد المغول[1]، والشيخ محمد بن علي بن جعفر الشمس العجلوني (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)، ولاه سودون الشيخوني نائب السلطنة بمصر مشيخة سعيد السعداء ودام بها نحو ثلاثين سنة، من مؤلفاته"مختصر كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، والسول في شيء من أحاديث الرسول، واختصر الشفاء، وعمل مختصرا في الفروع[2]، والشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى أبو اسحق العجلوني (ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م) تولى قضاء صفد في سلطنة الظاهر برقوق، ثم درس في المدرسة"الركنية"، ومن مؤلفاته، شرح على المنهاج للنووي[3]، والشيخ شرف الدين السماقي الحسباني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) تولى التدريس بالمدرسة "الفتحية؛ بدمشق، وولي قضاء حمص[4]، وشرف الدين الكفيري العجلوني(ت٨٣١هـ/١٤٢٧م)، احد المشايخ العلماء الذين درسوا بالمدرسة "الشاهينية" بدمشق، وولي تدريس المدرسة "الصارمية" بدمشق وجمع مختصرا في الحديث، وشرحا على البخاري في ست مجلدات، واختصر شرح البخاري لابن الملقن في أربعة مجلدات، والكرماني في ثلاثة مجلدات، كما شرح غاية الاختصار[5]، والشيخ محمد بن محمد بن علي بن أبـــي

---

[1] ابن عربشاه(ت٨٥٤هـ) عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق احمد الحمصي، بيروت ١٩٨٦م٢٥٠

[2] السخاوي الضوء اللامع:١٧٨/٨، السيوطي، حسن المحاضرة:٥٢٩

[3] ابن تغري بردي، المنهل الصافي:١٣٩/١، السخاوي، الضوء اللامع:١٥٧/١

[4] النعيمي الدارس:٤٢٩/١-٤٣٠

[5] السخاوي، الضوء اللامع:١١٢/١١١/٧ النعيمي الدارس:٣١٤/١-٣١٥ والمدرسة الشاهينية بناها الأمير شاهين الشجاعي دودار النعيمي، الدارس :٣١٣/١ والمدرسة الصارمية بناها صارم الدين ازبك مملوك قايماز النجمي، النعيمي الدارس:٣٢٦/١

الجواد الكركي (ت ٨٣٥هـ /١٤٣١م) اشتغل بالعلم في الكرك، وحفظ القران الكريم، لازم ابن حجر العسقلاني، وحرر معه"المشتبه"، وصنف في الفقه والنحو، منها"مؤلف في الحمام"[1]، والشيخ عبد الرحمن بن عمر بن محمد الكركي (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، احد العلماء والفقهاء حدث في مدينة حلب، ودرس بمدارسها، كالمدرسة "العصرونية"، و"المدرسة السلطانية" ثم ولي قضاء حلب[2]، وعلي بن إبراهيم الرباوي الكركي (ت٨٤١هـ/١٤٣٧م) احد المحدثين في القدس، ولي القضاء فيها سنة (٨٣٢هـ /١٤٢٨م)، ورحل إلى القاهرة، وناب في الحكم عن ابن حجر العسقلاني في باب الشعرية[3]، وعبد السلام بن داود بن عثمان العجلوني (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م) تولى تدريس الحديث بالمدرسة "الجمالية"، درس الفقه بالمدرسة "الخروبية" واستقر بمدرسة"الصلاحية" بالقدس[4]، والشيخ محمد بن حمد بن حمد بن معتوق الكركي (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) احد المحدثين الحنابلة، حدث في دمشق، وكان إماما فاضلا، أجاز للسخاوي سنة ٨٥٠هـ /١٤٤٦م)[5]، والشيخ إبراهيم بن موسى بن بلال بن دمج الكركي(٨٥٣هـ/١٤٤٩م) احد الفقهاء الشوافع، اشتغل بالتدريس بمدارس الكرك، وبرع في الفقه والحديث والعربية، وتولى القراءات في المدرسة "الظاهرية" بالقاهرة، له مصنفات ومؤلفات عديدة، منها" الإسعاف في

---

(1) السخاوي الضوء اللامع: ٣٠٦،٣٠٧/٩، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب:٢١٥/٧
(2) السخاوي الضوء اللامع: ١١٥./٤
(3) المصدر نفسه:١٥٧/٥-١٥٨.
(4) السخاوي، التبر المسبوك:١٥٣-١٥٤ والمدرسة الجمالية واقفها جمال الدين يوسف بن أيوب النعيمي، الدارس:٤٨٨/١.
(5) السخاوي الضوء اللامع: ٢٣٩/٣.

معرفة القطع والاستئناف" و "الآلة في معرفة الفتح والإمالة" في القراءات، وله "عمدة المحصل التمام في مذاهب السبعة الأعلام" و "درة المجيد في أحكام القران والتجويد" و"شرح ألفية ابن مالك" و"نثر الألفية النحوية" و"مرقاة اللبيب إلى علم الاعاريب" و "حاشية على تفسير العلاء التركماني" [1]، وعماد الدين يوسف بن احمد الباعوني (ت٨٧٠ه/١٤٦٦م) تولى القضاء في دمشق ست مرات من سنة ٨٤٧هـ/٤٤٣هـ) وحتى عام ٨هـ/١٤٦٦م) كما عين قاضيا لقضاة دمشق[2]، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد العجلوني (٨٧٤ه/١٤٧٠م) درس بالمدرسة، "الطيبية" والمدرسة "العذراوية" بدمشق[3]، ونجم الدين ابن قاضي عجلون (٨٧٦ه/١٤٧٢م) شيخ الشافعية في وقته، درس بالمدرسة "الظاهرية" بدمشقله مؤلف عظيم باسم "شرح المنهاج المسمى بالتحرير" وهو شرح عظيم الشأن، وله تصحيح على المنهاج، وله كتاب"التاج في زوائد الروضة على المنهاج"، وله كتاب"تحريم ذبايح اليهود والنصارى" في وقته، وله "شرح العقيدة الشيبانية" وله مصنف في "تحريم لبس السنجاب" [4] في وقته، والشيخ خطاب بن عمر بن مهنا بن يحيى الغزاوي العجلوني (ت٨٧٨ه/١٤٧٣م) لازم ابن قاضي شهبة وابن الجزري بدمشق؛ واشتغل في فنون العلوم، واشتغل في التدريس بالمدرسة"الشامية البرانية" والمدرسة"الركنية"، وتصدى للإفتاء والإقراء بدمشق، وخطب بالنيابة بالجامع الأموي[5]، والشيخ علاء الدين ابن قاضي عجلون (ت٨٨٢هـ / ١٤٧٧م)

---

(1) السخاوي،الضوء اللامع:١/١٧٥-١٧٦.

(2) الأنصاري، نزهة الخاطر :١١٦-١١٨، ابن طولون، مفاكهة الخلان:١/٥٩.

(3) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس:١/٣٣٩.

(4) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ١/٣٤٧-٣٤٨ والمدرسة الظاهرية بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين، النعيمي،الدارس:١/٣٤٠.

(5) النعيمي الدارس:١/٢٦٤-٢٩٥.

استقر بدمشق في قضاء الحنفية، ودرس بالمدرسة "النورية الكبرى" بدمشق[1]، والشيخ بدر الدين محمد بن البرهان بن وهيبية الصلتي(ت٨٨٦هـ/١٤٨١م) حدث بنابلس وتولى القضاء فيها، ثم تقلد منصب القضاء في دمشق وطرابلس وبعلبك، وولي قضاء طرابلس عشرين عاما، كما تولى التدريس بدمشق في المدرسة "الاكزية" وتولى مشيخة "الاسدية"[2] والشيخ محمد بن محمد بن خيضر بن داود البلقاوي (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م) كان ملازما للفقيه الانرعي وابن قاضي شهبة، تولى مشيخة دار الحديث الاشرفية، ووكالة بيت المال بدمشق، وقضاء الشافعية فيها، من مؤلفاته "البرق الملموع لكشف الحديث الموضوع" و"المنهل الجاري من فتح الباري بشرح البخاري "وله "شرح ألفية العراقي" واسماها "صعود المراقي"[3]، والشيخ زين الدين الحسباني(ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) درس بالمدرسة النورية الكبرى "في دمشق[4]، والشيخ برهان الدين إبراهيم ابن الكركي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) قاضي قضاة الأحناف في القاهرة، جلس للحديث فيها ثم في مصر[5]، والشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن المجد الكركي(ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) اخذ علومه عن ابن حجر

---

(1) النعيمي، الدارس: ٦٤١/١،والمدرسة النورية بناها الملك العادل نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣هـ، النعيمي: المصدر نفسه: ٦٠٧,٦٠٦/١

(2) المصدر نفسه: ١٦٨,١٦٧/١، والمدرسة الاكزية هي التي بناها اكبر حجاب نور الدين محمود، المصدر نفسه: ١٦٦/١.

(3) السخاوي، الضوء اللامع: ١١٧/٩-١٢٤.

(4) النعيمي، الدارس: ٦٤٥/١.

(5) الغزي(ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، محمد بن بدر الدين محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الأوقاف الجديدة، بيروت،١٩٧٩م: ١١٢/١.

العسقلاني، وبرع بالفقه والتفسير وعلوم الحديث واللغة العربية والمنطق، وقربه السلطان الاشرف قايتباي حتى صار أمامه الخاص، تولى التدريس في العديد من المدارس داخل القاهرة، من مؤلفاته "فتاوى مبوبة" و "حاشية على توضيح ابن هشام" وله "فيض المولى الكريم"[1]، وكذلك عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الباعونية (ت٩٢٢ه/١٥١٦م) وصفت بالصلاح والعلم والعمل، صنفت العديد من المؤلفات، من ذلك "الملامح الشريفة والآثار المنيفة" ولها "الفتح الحنفي " ولها "در الغائص في بحر المعجزات والخصائص" وهو قصيدة رائية، ومن أشعارها في وصف دمشق:

نزه الطرف في دمشق ففيـــ　　ها كلما تشتهي ومـــــا تختار

هي في الأرض جنة فتأمل　　كيف تجري من تحتها الأنهار

كلها روضة ومـــاء زلال　　وقصور مشيدة وديــــــــار[2]

والشيخ تقي الدين ابن قاضي عجلون (ت٩٢٨ه/١٥٢٢م) درس بالمدرسة "الشامية البرانية" بدمشق، وحفظ المنهاج، ثم افتى ودرس، وانتهت إليه مشيخة الشافعية بدمشق[3]، والشيخ إبراهيم بن موسى السيد برهان الدين الصلتي (السلطي) (ت٩٣٥ه/١٥٢٨م)، تقلد ناظر المدرسة "البدرائية" بدمشق[4]، وتاج الدين بن الصلتي الذي خلع عليه السلطان الجركسي قايتباي نقابة الأشراف في

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب:١٠٢/٨,١٠٣,١٠٤

(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب:١١١/٨،١١٢،١١٣ابن طولون مفاكهة الخلان :٧٤/٢.

(3) النعيمي الدارس:٢٩٦/١

(4) الغزي، الكواكب السائرة :٨٠/٢ والمدرسة البادرائية بناها الشيخ الإمام نجم الدين أبو محمد بن أبي الوفاء وعثمان الباذرائي االبغدادي الدارس:١٦٩/١

الخامس من شهر صفر سنة(٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وفوض إليه القضاء بدمشق سنة(٩٢٦هـ/١٥٢٠م)، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد الحسباني الذي تولى قاضي القضاة بدمشق بأمر من السلطان الاشرف قايتباي[1].

ثالثاً: المظاهر الاقتصادية:

تمتعت مناطق شرقي الأردن بأهمية اقتصادية وتجارية كبيرة في عصر دولة المماليك، سواء أكان ذلك من خلال حركة التجارة الداخلية والخارجية أم من خلال الأعمال الزراعية والصناعية، ولقد اكتسبت الأردن أهمية اقتصادية بسبب كثرة الممرات والطرق التجارية البرية والبحرية التي تربط المنطقة بمعظم مدن وأقاليم الشام والعراق والجزيرة ومصر، وكذلك بسبب انتشار الأسواق في معظم مدن وقرى شرقي الأردن.

أما بالنسبة للطرق التجارية فقد احتوت على أقدم الطرق التجارية الدولية، وهو طريق الصين الذي ينبثق من الصين ليصل الهند فالخليج العربي وميناء البصرة، ومنها يعبر برا حتى يصل بغداد ومنها يتفرع باتجاهين، الاتجاه الأول من دمشق إلى موانئ ساحل البحر المتوسط، ثم جنوبا ليصل إلى مصر بمحاذاة سواحل غزة، مارا بالأجزاء الشمالية من شرقي الأردن، عابرا الصحراء إلى القاهرة، وبينما يتجه الفرع الثاني شمالا إلى حلب ثم آسيا الصغرى ملتقيا بالطرق القادمة من أواسط آسيا برا، بحيث يتحد معها إلى القسطنطينية ثم البلاد الأوروبية[2]، ثم يأتي الطريق البحري ليشكل ثاني أهم المعابر التجارية في المنطقة، يبدأ من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر حيث الموانئ المنتشرة هناك ليصل إلـــى

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان:١/٥،٤٠،٢/٧٢

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب(أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة، (مصر،١٩٧٠م) : ١١٨، وانطون خليل ضومط، الدولة المملوكية(التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري١٢٩٠-١٤٢٢م)، بيروت، ١٩٨٢م،

خليج العقبة(أيلة)، ومنها يتفرع هذا الطريق إلى فرعين، من العقبة برا عبر أراضي شرقي الأردن إلى دمشق وحلب، أما الفرع الثاني فيتجه عبر الصحراء إلى النيل ثم القاهرة[1].

وحول الطرق التجارية الداخلية والتي كانت تربط مصر ببلاد الشام، فنلاحظ، وذلك وفقا لما جاء به المؤرخ الشهير ابن فضل الله العمري، أن المنطقة(شرقي الأردن) كانت حلقة الوصل لشبكة تجارية هامة، حيث ربطت بغداد بدمشق والقاهرة والحجاز، حيث استخدمت لعبور القوافل التجارية وقوافل الحجيج ونقل البريد، فجاءت هذه الطريق على النحو الذي جاء به ابن فضل الله والقلقشندي، كالآتي:

من مصر إلى غزة ثم الكرك مرورا بمدينة الخليل، ثم من مصر وغزة إلى دمشق مرورا عبر الجامع إلى زحر ثم اربد ومنها إلى دمشق عبر الصنمين(وهي قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران) والكسوة (قرية من دمشق)، وكانت الجمال من أكثر وسائط النقل استخداما لنقل السلع والبضائع التجارية[2].

كما تفرعت طرق تجارية برية عديدة من ميناء العقبة(أيلة) وذلك لتسويق بضائع الهند والصين في كافة البلاد الشامية، حيث كانت تعبر اليمن وعسير والحجاز، ومنها إلى طريق وادي اليتم، وهي طريق تصل إلى معان ومنها إلى حاضرة الشام مدينة دمشق، وطـريق وادي عربة، وطريق القدس عبر صحراء النقـب والخليل[3]، ويلاحـظ أن دروب وممرات شـرقي الأردن فـي عصـر دولة الممـاليك كـانت

---

[1] نعيم زكي فهمي،التجارة الدولية : ١١٨ .

[2] ابن فضل الله العمري، التعريف: ٢٥٧،٢٤٩،٢٤٨،٢٤٧، القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٢٤/١٤، ٤٢٥، ٤٤٣،٤٢٦ .

[3] نعوم شقير، تاريخ سيناء والعرب،مصر، ١٩١٦م : ٢٢٣,٢٢٢ .

تشكل منفذا وحيدا لقوافل الحاج الشامي الذي يضم حجاج بلاد فارس وحلب وديار بكر وشمال العراق، واعتادت هذه القوافل على التجمع في منطقة "مزيريب" والتي تقع بالقرب من أذرعات وحوران[1]. ثم يتابع ركب الحجاج مسيرته في قفل هائل يبلغ في بعض الأحيان ثلاثة عشر ألف جمل، مخترقا ارض الأردن من الشمال، فيمر بالرمثا ثم يسير إلى الزرقاء، فيقيم بها يوما أو يومين، يرحل إلى زيزياء حيث يمكث ثلاثة إلى أربعة أيام ليواصل رحلته إلى اللجون ثم الكرك حيث ينزلون بالثنية خارج الكرك مدة أربعة أيام، ثم يخرج الركب الكركي ويتقدم قفل الحاج الشامي،وينزل بعد ذلك بالحساليتزود الركب بالماء ثم يغادر إلى مدينة معان، فيقيم ثلاثة أيام ثم يتجهز الحجاج للدخول في البرية باتجاه عقبة الصوان ثم إلى ذات حج ومنها إلى تبوك حتى يصلوا إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة[2].

وتؤكد مصادر حقبة المماليك التاريخية أن قافلة الحاج الشامي بشكل خاص والقوافل التجارية الأخرى بشكل عام ساهمت مساهمة كبيرة ومباشرة في تطوير اقتصاد المنطقة، ففي الوقت الذي كانت فيه معظم مناطق شرقي الأردن معبرا لقوافل الحاج الشامي، سواء من الشام والعراق وشيراز وبلاد العجم وبلاد التركمان وبلاد الروم، كان الحجاج عبر هذه القوافل غالبا ما يحضرون معهم السلع والأموال الكثيرة، كالمنسوجات والتحف والفراء والأخشاب والخيول، نجد في المقابل أن هذه القوافل كانت تحمل في أثناء عودتها إلى بلادها من الحجاز بضائع كثيرة، كالفلفل والبهار والزنجبيل وجوز الطيب والورق والنيلة والحديد والنحاس والرصـــاص والذهــب

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان:١/٢٧،٢٨،٢٩،١١٩،١٢٩.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: ٣١٣/٩،المقريزي، السلوك:١٢٢٨/٤، غوانمة، القسم الحضاري:٨٤،٨٥

والعاج والقصدير وغير ذلك[1]، ويعود فضل تسهيل وتحسين طريق الحاج عبر الأردن إلى الملك المعظم عيسى، وذلك في سنة(٦٢٢ه/١٢٢٤م)، إذ أرسل شخصا على رأس فرقة خاصة قام بمسح الأرض من باب الجابية إلى جبل عرفات، وكتبها له منزلة منزلة، وسهل في الحاج مواضع كانت وعرة كثيبة الصوان، كما كثر لهم المير في أراضي الكرك والشوبك وتبوك والعلا والمدينة المنورة[2].

كما حافظت منطقة شرقي الأردن على دورها الهام في ربط كافة الطرق ببعضها البعض، ولقد عول المماليك عليها أهمية كبيرة، إذ حققت للدولة دخولا اقتصادية جيدة بالإضافة إلى أنها ساهمت في تحسين معيشة سكان المنطقة، كان كل ذلك يتحقق إذا ما وفرت الدولة الأمن والرعاية لهذه الطرق، أما في حالة غياب كل ذلك فان العوائد الاقتصادية كانت تتعرض للخطر والانحسار، فعلى سبيل المثال، أدت موجة المغول التي اجتاحت المنطقة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى حدوث ضرر كبير بمصالح الدولة المملوكية وسكان المناطق، حينما انقطعت التجارة مع بلدان آسيا الوسطى والصين والهند، إذ تعطلت معظم الطرق والممرات التجارية البرية، ثم ما حدث سنة(٨٠٣هـ/١٤٠٠م) عندما اجتاح تيمورلنك بلاد الشام، مما أدى إلى تغير مسالك الطرق التجارية وقوافل الحجيج عن خط سيرها المعتاد، لاسيما بعد خراب دمشق، وتفشي الغلاء والأوبئة والسلب والنهب والقتل، حتى أن ذلك حال بين المسلمين وبين تأدية مناسك الحج، لاسيما عن طريق الشام وما يتبعه من أقاليم الأردن، بسبب ضعف وانعدام الحالة الأمنية سنـــــة

---

(1) عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ، الإسكندرية أ:١٩٩٣م،ص٣١-٣٢، غوانمة، القسم الحضاري:٨٦، توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، الموصل ١٩٧٥م:٥٤

(2) أبو شامة، تراجم رجال القرنين:١٥٢

(٨٠٥هـ/١٤٠٢م)[1].

أما الأسواق والمراكز التجارية في شرقي الأردن فقد كان لها انتشارا واسعا في عصر دولة المماليك، وذلك بسبب كثرة الطرق والمسالك التجارية وقوافل الحجيج، وهي التي ساهمت بشكل مباشر في تنشيط الحركة التجارية، الداخلية والخارجية، وبناء على ذلك قامت مراكز تجارية عديدة كانت تعقد فيها الأسواق الأسبوعية واليومية ويجلب إليها السكان من شتى المواقع منتوجاتهم وبضائعهم لعرضها وبيعها[2]، والذي كان يميز هذه الأسواق التجارية، أن كل سوق منها كان يختص بنوع معين من البضائع والسلع، فأسواق مدينة عجلون التي صورها لنا المؤرخ النويري لهي نموذجا فريدا لما كانت عليه أسواق المدن الأردنية وقياسرها في عصر دولة المماليك، فقد ذكر من أسواقها:

سوق الآدميين (الجلود)، وسوق القطانيين، وسوق الصاغة، وسوق الحامية، وسوق البز العتيق، وسوق الحصريين، وسوق أم معبد وحوانيت الجزازين، وحوانيت الدق، وحوانيت الطباخين والعلافين، وسوق القباعين(وهي عمامات من الحرير)، وسوق الخلعيين(وهي ثياب قديمة مستعملة)[3].

ومن المراكز التجارية الداخلية الهامة، قيسارية الأمير سيف الدين بكتمر في عجلون، وقيسارية ملك الأمراء تنكز، ومن وكالاتها، دار الطعم(وهي وكالة للتجار الأجانب) ثم هنالك المصبغة والفرايين(صناع الفراء)، والدباغ ومسلخ الضأن والماعز، بالإضافة إلى وظيفة القياسر الأساسية في البيع والشراء، فقد كانت تقوم

---

(1) نعيم زكي فهمي، التجارة الدولية: ١٢٥،ابن الصيرفي، نزهة النفوس:١٧٠/٢
(2) غوانمة، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي:٨٢
(3) غوانمة، القسم الحضاري:٨٢،٨٣.

مقام الخانات التي ينزلها التجار ويخزنون بضائعهم فيها، بينما كانت القياسر من المنشات التي كان يبنيها الأمراء المماليك للربح واستثمار الأموال، أو للوقف على الأعمال الخيرية، مثل قيسارية الأمير سيف الدين بكتمر، وقيسارية الأمير تنكز نائب دمشق التي وقفها على البيمارستان الذي بناه في مدينة صفد، وكانت هذه القياسر تضم مصانع صغيرة وتعرض فيها السلع والبضائع للبيع[1].

وثمة سوق تجاري هام ينعقد في الزرقاء، حيث يقيم الحاج الشامي وغيره بضعة أيام، وهو من الأسواق الكبيرة التي عرفت في منطقة شرقي الأردن في العصر المملوكي، إذ كانت هذه السوق تحتوي على خيرات كثيرة قادمة من دمشق والمدائن الشامية الشمالية، والتي كانت تحتوي على الفواكه من التفاح بأنواعه، والكمثرى والعنب والخوخ والقثاء، ومن غير الفاكهة البيض والكبائش والأغنام والخيول والشعير والتبن والدجاج، وبالإضافة إلى البضائع التي حملت من دمشق، فقد حملت السلع من مدينة عجلون أيضا[2]، وكانت تقام في القسم الشمالي من الأردن، وفي اربد بوجه خاص أسواق لقوافل التجارة المتحركة ما بين دمشق والقاهرة، حتى ازدهرت تجارة اربد وأسواقها لوقوعها على هذا الطريق التجارية الهام، وذلك أن القوافل التجارية المارة بها كانت تضم أعدادا كبيرة من التجار القادمين من بخارى و سمرقند وشيراز وأمد وبلاد الأرمن والعراق حاملين معهم أنواع مختلفة من البضاعة[3]، ولا زالت آثار بركة اربد موجودة للان في الحي

---

[1] المقريزي، الخطط والأثار:٣/١٤٤،١٤٨، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية:٣٦٨-٧٦٩، غوانمة، القسم الحضاري:٨٤-٨٥.

[2] الجزيري، الدرر الفوائد:٢/١٢٥٦.

[3] ابن مولون، مفاكهة الخلان:١/١١٠،١١٩.

الجنوبي من المدينة، وظلت تحتفظ حتى عهد قريب بخاناتها المتخصصة لخدمة التجار الوافدين اليها من المناطق المجاورة او البعيدة[1]، كما كانت هناك سوقا كبيرة في معان، تحوي كثيرا من الخيارات كالشعير والتبن وما يناسب الجمال، وبها الغنم والمعز والضان والبيض والالبان وبها بعض الفاكهة، كالعنب والكمثرى والتوت وغيرها، وكانت تنقل اليها المير من الخليل، حيث كان هذا السوق مصدر العيش الوحيد لسكان معان وقراها، كون مدينتهم تقع على طريق الحج، فراحوا يستثمرون هذا الموسم بجلب البضاعة والسلع المختلفة لتوفيرها للحجاج العابرين الى مكة والمدينة[2].

كما اشتهرت العقبة(أيلة) بأسواقها الهامة الكبيرة في مواسم الحج، حيث توافرت بها معظم احتياجات الحجاج من السلع والبضائع حتى ان معظم حجاج مصر والمغرب وغزة كانوا يؤمنون ما يلزمهم من هذه السوق، حتى اكتسبت العقبة اهمية تجارية بسبب كثرة التجار القادمين اليها من مختلف البلاد الشامية، وجاءها تجار من غزة والكرك والشوبك والخليل والقدس والطور لبيع ما لديهم من بضائع وتسويقها على الحجاج هناك[3]، وقد اعتبر المؤرخ الجزيري ان سوق العقبة(ايلة) في مواسم الحج من الأسواق الفريدة في ذلك الزمان، حيث قال"وينصب سوق كبيرة فيه من البضائع والفواكه ما لا يوجد في غيره، وانه مكان مقصود، تاتي اليه أجلاب الشام، وتقام به الأسواق العظيمة، التي لا توجد في أمهات الأقاليم وكبار المدن"[4]،

---

(1) غوانمة، القسم الحضاري لشرق الأردن: ٨٦.
(2) الجزيري، الدرر الفوائد:١٢٥٩/٢، غوانمه، القسم الحضاري: ٨٦،٨٧
(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩ ق٢: ٣١٣، الجزيري، درر الفوائد:١٣٤٨/٢.
(4) الجزيري، درر الفوائد:١٣٤٨/٢-١٣٤٩، غوانمة، ايلة:٧٤

وقد عرض الجزيري البضائع والسلع التي كانت متوفرة للبيع في اسواق العقبة(ايلة) كالفواكه والثمار، والزبيب، واللوز، والعنب، والتفاح، والكمثرى، والجوز، والدبس، والدقيق، والشعير، والاغنام، واللبن، والخشب، والجمال، والتمور، والعسل، وقوالب الملح المجلوبة من البحر الميت، والبغال، والحمير، والخدامة، واشتهر ببيع الاجبان الخليلية والكركية[1]، وللأهمية التي اكتسبتها اسواق العقبة دفع بالامير يشبك سنة(٨٧٥هـ-١٤٦٩م) الى جلب الجمال والشقادف، والقمصان والمأكل، والمشرب، الى العقبة لملاقاة الحاج المنقطعين، للقيام بكسوتهم وإطعامهم[2]، وكانت التجارة في العقبة أرخص من غيرها في الديار الشامية، والمصرية، وقد ذكر ابن الصيرفي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ان اسعار مدينة العقبة كانت رخيصة، بحيث تمتع الحجاج برخاء كبير سنة ٨٧٥هـ/١٤٦٩م، وذلك لتنوع أسواقها التجارية القادمة اليها من الخارج[3]، ونظرا لأهمية الأسواق التجارية والقوافل، اقام سلاطين دولة المماليك مراكز جمركية خاصة بموظفي المكوس لاستيفاء رسوم قررت على التجار، فكان هناك مركز الحسا التابع لنيابة الكرك، حيث كان مركزا متوسطا بين الحجاز والشام، وكان متحصله عشرة الاف مثقال من الذهب سنويا[4]. وقد ساعد على خدمة وتنشيط حركة التجارة في الداخل والخارج توافر مسالك وطرق ينتشر فيها الامن والسلامة، فقد اسند المماليك ابتداء من عهد الظاهر بيبرس وحتى عصور الدولة المملوكية (البرجية) الجركسية، درك البلاد وحراسة طرقها إلى بني عقبة عرب

---

(1) الجزيري، درر الفوائد : ٢/ ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ .

(2) ابن الصيرفي، أنباء الهصر : ١٩٧ .

(3) ابن الصيرفي، أنباء الهصر: ٢٨٦ .

(4) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك : ١٠٨، ١٣٢، غوانمة، القسم الحضاري: ٦٤ ـ ٦٥ .

الكرك، وبني مهدي آل مرا، وضمانا لسلامة الاتصالات وتامينها لتتابع القوافل التجارية، اقيمت الخانات على طول الطريق، لخدمة حركة المرور، وتوفيرا لراحة التجار والمسافرين، اقيم في الاردن، خان العقبة، وخان الحسا، وخان القطرانة، وخان قياد (ضبعة)، وقد زودت هذه الخانات جميعها بالطعام والماء وحذاء الخيول والاعلاف[1].

وعلى الرغم من الازدهار الاقتصادي الذي اصاب شرقي الاردن خلال الحكم المملوكي بسبب تنوع طرق التجارة ومواقعها الاستراتيجية، الا ان التجارة في المنطقة واجهت صعوبات عديدة خلال فترة الحكم المملوكي الثاني، اذ تراجعت اهمية ميناء العقبة (ايلة) في أواخر العصر المملوكي الثاني بعد نجاح الرحالة البرتغالي فاسكودي جاما في اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح في اواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مما ادى الى اضمحلال التجارة الدولية عبر البحر الأحمر[2]، كما ادى ازدياد الخطر الفرنجي في البحر الاحمر والمحيط الهندي الى إضعاف طريق التجارة البحري عبر ميناء العقبة، حتى اضطر السلطان قانصوه الغوري الى ارسال اول تجريدة الى الهند سنة (٩١١ه/١٥٠٥م) بسبب عبث الفرنج بسواحل الهند[3]، كذلك شرعت دولة المماليك في بناء الأبراج على سواحل جدة، وجهزوا المراكب للخروج الى مدينة عدن، إضافة الى برج العقبة الذي وضع فيه حامية عسكرية مملوكية سنة(٩٠٥هـ/١٤٩٩م)[4]، ومن الاسباب في إضعاف

---

(1) نعيم زكي غوانمة، القسم الحضاري لشرقي الأردن : ٩٤ .
(2) نعيم زكي فهمي، التجارة الدولية : ١٥٠ .
(3) ابن إياس، بدائع الزهور : ٨٢/٤ .
(4) ابن إياس، بدائع الزهور: ١٠٩/٤، ١٥١، غوانمة، أيلة : ٨٣ .

التجارة وازدهارها في المنطقة، تلك الممارسات التي كان يقوم بها ولاة الدولة المملوكية من استغلال الثروات لصالحهم الخاص، فاوقعوا الظلم على الناس، وحدث سنة(٧٩٨ه/١٣٩٥م) ان اغتصب كاشف البلاد القبلية الاموال الكثيرة، وقيل انه صادر ثلاثة الاف الف دينار، وفرضت في سنة(٨١٢هـ/١٤٠٩م) على قرى حوران والمرج شعير يقوم به اهل كل ناحية، كما احتكر السلاطين والحكام الاداريين صناعة السكر في منطقة الاغوار الاردنية[1]، يضاف الى ذلك تاثير العوامل الطبيعية على حركة التطور وازدهار التجارة في شرقي الاردن، فقد انتشرت الاوبئة والقحط والجفاف والزلازل وسوء الاحوال الجوية، حيث تسببت تلك الحوادث في ايذاء الناس واضرت المزروعات، مما اثر ذلك على حركة التجارة والقوافل تاثيرا قويا مباشرا[2].

وبالإضافة الى اهمية التجارة على واقع الحياة الاقتصادية في منطقة شرقي الاردن، فقد اعتمدت ايضا كغيرها من بين اقاليم الشام اعتمادا كبيرا على الزراعة والصناعة، اذ شكلت الزراعة مصدرا اساسيا من مصادر الحياة الاقتصادية، وذلك بعدما تم استغلال الحقول التي تروى بمياه الامطار في زراعة الحبوب، كالقمح والشعير، التي انتشرت في سهول حوران والشوبك والكرك والبلقاء، كما كانت منطقة الاغوار الممتدة من جنوبي بحيرة طبرية حتى البحر الميت، من المناطق الزراعية الخصبة، لتنوع محاصيلها ومزروعاتها، كقصب السكر، والموز والنخيل والنيلة والحلفا والارز، في حين نلاحظ كثافة في الاشجار المثمرة وغير المثمرة في المرتفعات الجبلية الممتدة من جبال عجلون شمالا حتى جبال الشراة مؤاب جنوبا، حيث انتشر فيها

---

[1] ابن حجر، انباء الهصر : ٨ / ٧٨-٧٩، ابن قاضي شهبة : ٥٩٤/٣ .
[2] فيليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، بيروت د.ت : ٢٢٥ .

زراعة العنب والتين والزيتون وانواع مختلفة من اللوزيات، والليمون، اما الأشجار غير المثمرة فكثيرة أيضاً كالبلوط والسنديان واللزاب، والصنوبر والسرو والخروب والسماق والبطم والزعرور وغيرها من الاشجار الاخرى غير المثمرة[1].

اما بالنسبة للنظم الزراعية التي عمل بها وسط المزارعين(الفلاحين) في مناطق شرقي الاردن، فقد خضعت المؤثرات للنظم الزراعية الرومانية كبقية بلاد الشام، اذ فلح المزارع ارضه على نظام فلاحة الحقلين، ويعني ذلك زراعة حقل في الوقت الذي يزرع فيه حقلا ثانيا ثم الحقلين في السنة التالية[2]، وذلك ضمانا لتحسين نوعية التربة وتجنبا لاجهادها، لتحقيق انتاج افضل، وقد استخدم الفلاح الاردني في عصور دولة المماليك الطرق القديمة في حراثة الاراضي، فاستخدم الة تسمى (عود الحرث) والذي يحتوي على سكة حديدية مدببة، ويحملها ثوران او حماران[3].

اما الصناعات التي انتشرت واشتهرت بها شرقي الاردن فكان ابرزها الصناعات الزراعية، كصناعة السكر والنيلة، والزيوت والصابون وصناعة الحصر، والبلسم، والمنسوجات والبسط، والفحم النباتي والدقيق، وصناعة الخمور والمراكب، وكذلك صناعة السيوف والسهام والنبال والخناجر والاقواس، والكنائن والنفط، وكذلك الصناعات الخزفية والفنية، كفن الصياغة والكفيت، وفن التحف الخزفية، والحفر على الخشب، وكذلك صناعة التعدين، كالكبريت والحمر والنحاس والحديد والرخام، وسناخذ بعض الامثلة لهذه الصناعات لتبيان اهتمام دولة المماليك بها وكذلك انتشارها في منطقة شرقي الاردن، فقد كانت صناعة قصب السكر من اكثـــــــر

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى : ٤/ ١٥٦، المقدسي، أحسن التقاسيم : ١٨٠ .
(2) إبراهيم طرخان، النظم الاقطاعية : ٢٤٢ .
(3) يوسف غوانمة، القسم الحضاري : ٨١ .

الصناعات واهمها في المنطقة، ولذلك اولاها سلاطين دولة المماليك –على اختلافهم– كل رعاية واهتمام، وهي الصناعة التي اشتهرت بها منطقة الاغوار الشمالية والجنوبية، وتعود شهرة هذه المناطق بانتاج وصناعة السكر الى ما قبل العهد المملوكي، فقد حرص الصليبيون(الفرنج) على استثمار هذه المناطق، ولاهتمامهم بهذه السلعة الهامة سعوا الى نقله لزراعته وصناعته في اوروبا، وذلك على يد الامبراطور فردريك الثاني، اذ حمل معه صناعا من الشام وانزلهم جزيرة صقلية[1].

وفي العصر المملوكي زاد الاهتمام بصناعة قصب السكر وانشاوا معاصر كثيرة لاستخراج السكر، كما اقاموا مطابخ خاصة توزعت في انحاء مختلفة من الغور الاردني،ولذلك اصبحت الاغوار اقطاعات سلطانية خاصة لقيمتها الاقتصادية الكبيرة، حتى صار السلاطين يعينون شادا خاصا يشرف عليها، بحيث يجمع وينظم عوائد قصب السكر، وقد كشفت الابحاث الاثرية عن مئات من المعاصر والاواني الفخارية التي استخدمت لتجفيف عصير القصب[2]، وبلغ اهتمام السلاطين المماليك بالاغوار الى الحد الذي جعلهم يخصصون لها نائبا اطلق عليه (استادار الغور) وهي من الوظائف الادارية الهامة لدى الدولة المملوكية، بل وكثيرا ما خضعت الاغوار لاشراف نائب دمشق مباشرة[3]، ولاهمية صناعة السكر الاقتصادية وما حققته مـــــــــن

---

(1) غوانمة، القسم الحضاري: ١٠٦، ١٠٧ .

(2) اليونيني، ذيل مرآة الزمان: ١٧٢/٤، القلقشندي، صبح الأعشى: ١٨٨/٤، والنويري، نهاية الأرب: ٢٦٧/٨ – ٢٧٢، غوانمة، القسم الحضاري : ١٠٨ .

(3) ابن طولون، مفاكهة الخلان: ٩٧/١، ١٢٥، ١٤٢ . الاستدار : لقب مملوكي يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان، والاستدارية وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ، والشراب خانة، والحاشية، والغلمان، ويمشي صاحبها بأمر السلطان، (محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠ : ١٤-١٥)، ثم عهد إليه أمر الأغوار لوجود مزارع قصب السكر ومعامل إنتاجها والتي كانت جزءاً من الخاص السلطاني .

عوائد ربحية كبيرة، فقد احتكر سلاطين الدولة المملوكية تجارته، فتحكموا في تسويقه واسعاره. وقد اثارت هذه السياسة استياء الناس وغضبهم وتذمرهم خاصة عند أهالي دمشق، حتى انه في سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) تذمر سكان دمشق بسبب ارتفاع اسعار السكر وذلك من خلال استخدام مآذن المساجد كوسيلة احتجاج على السلطة المملوكية لاحتكارهم مادة السكر وتلاعبهم باسعارها، اذ رفع سعره من ١٤ الى ٢٨ درهما للرطل الواحد، ثم الى ثلاثين درهما[1].

ومن الصناعات الزراعية التي منحها سلاطين المماليك اهتماما وعناية هي صناعة الزيوت والصابون، وتحقيقا لانتاجية عالية من هذه الصناعة، عمدوا الى الاكثار من زراعة شجر الزيتون في المناطق الجبلية الممتدة من جبال عجلون والشوبك حتى جبال الشراة جنوبا، ولان صناعة الزيتون من اهم موارد المنطقة الاقتصادية في العصور الاسلامية الوسطى، فقد انتشرت معاصر الزيتون في معظم ارجاء البلاد، كما ترتب على انتاج الزيتون قيام صناعة الصابون، ومن المعروف ان صناعة الصابون تحتاج بالاضافة الى الزيت الى توفير مادة الصودا القلوية، حيث كانت متوافرة في مناطق البلقاء والشراة والتي استخرجت من رماد شجر الدردار، كما ان سكان منطقة الاردن استفادوا من نوى الزيتون المطحون وصنعوا منه الدق (الجفت) الذي استخدموه للتدفئة والطهي[2].

كذلك انتشرت الارحاء لطحن الدقيق في معظم اودية الاردن، وحول الانهار ومجاري المياه، فتوفرت بكثرة في عمان وحسبان وعجلون والكرك والشوبك

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان : ٤٢/١، ٤٥، ٤٦، ٤٨ .
(2) يوسف غوانمة، القسم الحضاري : ١٠٩، ١١٠ .

والأغوار[1]، وساعدت الغابات وكثرتها على صناعة الفحم النباتي وهو من الذخائر الاقتصادية التي يجب على السكان خزنها وتوفيرها، لاستعمالها لاغراض متعددة، سواء في اوقات السلم او اوقات الحرب والحصار[2]، وانتشرت كذلك صناعة الحياكة والنسيج، واشتهرت مناطق البلقاء وباعون (عجلون)، بهذه الصناعة، ويلاحظ ان هذه المهنة كانت تنتشر في عصر المماليك في معظم مناطق الريف الاردني[3]، ووجدت صناعة المراكب الخشبية في مدينة زغر جنوبي البحر الميت[4]، كذلك صناعة البسط في الشوبك والكرك حيث كانت ايام المماليك من اهم المراكز الاردنية توفيرا لهذه الصناعة، حتى ان السلاطين والامراء حرصوا على اقتنائها، ففي سنة (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) سافر الملك الأشرف شعبان الى الحج، ونزل مدينة العقبة واستقبله هناك نائب الكرك، فاوصاه السلطان بصناعة اعداد من البسط ونقلها الى القاهرة[5]، واهتمت مناطق شرقي الاردن بالصناعات الزخرفية والفنية، كفن الحفر على الأخشاب وصناعة الاواني، والاجران التي عادة ما تستعمل لدق البن والحبوب الاخرى، وقد زخرفت تلك الاجران هندسيا، ذات تراكيب متداخلة او اشكال مستطيلة بداخلها مثلثات[6]، واشارت المصادر التاريخية المعاصرة للفترة المملوكية الى اشتهار المنطقة بالصياغة والتكفيت، حيث اعتمدت هذه الحرفة على سبك المجوهرات

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى : ١٠٦/٤ .
(2) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور : ١٩٦ .
(3) السخاوي، الضوء اللامع : ٢٣٢/٢ .
(4) غوانمة، القسم الحضاري : ١١٤ .
(5) المقريزي، السلوك : ٥٣٠/٤ .
(6) زكي محمد حسن، فنون الإسلام : ٢٤٨ .

والحلي وتزيينها، اذ كان يطعم المعدن بمواد مختلفة، مثلا كان يطعم النحاس بالفضة والفضة بالذهب وهكذا وقد كان هذا النوع من الصناعات يتواجد في مدينة الكرك وعجلون[1]، كما اسفرت الابحاث الاثرية التي اجريت عن كشف الاف القطع الفخارية التي يرجع تاريخها الى اقدم العصور مما يدل على ان صناعة الفخار وجدت لدى الشعوب التي عاشت في هذه المنطقة، وشاع في عصر الايوبيين والمماليك نوع من الاواني الفخارية المحلية تمثل في معظمها دوارق للماء او اطباق للطعام، او جرار كبيرة لاغراض حفظ زيت الزيتون والنبيذ وغيره[2].

كما اهتمت الدولة المملوكية بصناعة الاسلحة بانواعها، حتى ان قلعة الكرك كانت تضم قاعات لصناعة الاسلحة المختلفة، كالسيوف، والنشاب، والرماح والدروع والنفط واشتهرت مؤتة بسيوفها المعروفة(بالسيوف المشرفية). حيث صنعت من معدن الحديد، فبعضه محلى وبعضه الاخر مستورد من بلاد الصين والمناطق الاخرى[3]، وقد صنع في الاردن الكنائن والاقواس، واشتهرت مدينة زغر بهذه الصناعة، واشتهرت قرية عمتا بغور الاردن الشمالي بصناعة النبال، حيث امتدحها البعض وقالوا فيها: وبها يعمل النبل الفائقة[4]، واشتهرت السواحل الشرقية للبحر الميت بوفرة معدن الكبريت الابيض، الذي كان ينقل الى مدينة وقلعة الكرك لخزنه في مستودعها حيث استخدمت هي ومادة الحمر(الاسفلت) في صناعة النفـــط

---

[1] محمد عبد العزيز مرزوق، الآثار الإسلامية والفن الإسلامي : ٦٤، ١٤٤ .
[2] غوانمة، القسم الحضاري لشرق الأردن : ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ .
[3] عبد الرحمن زكي، صناعة السيوف الإسلامية، المجلة التاريخية، القاهرة، ١٩٥م: ٨٢.
[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، : ٨٨/٢، القلقشندي، صبح الأعشى : ١٤٢/٢ .

المحرقة[1]، وتوفرت في مناطق شرقي الاردن بعض المواد المعدنية التي استخدمت في صناعة السلاح، كالحديد الذي استخرج من عجلون، وعمل على تكريره وتنقيته في افران صهر خاصة، كما توفر الحديد في بعض مناطق الاغوار، اذ دلت الكشوف الاثرية على وجود افران ومسابك لصهره هناك[2]. كذلك توفرت مادة الكبريت الابيض في مناطق غور الاردن الشمالية، وهو بكثرة على سواحل البحر الميت الشرقية، وكذلك الحمر الذي يعرف بالقار والاسفلت الذي استخرج ايضا من البحر الميت، واستخدم في عصر دولة المماليك في صناعة النفط[3].

رابعا: المظاهر الاجتماعية:

لقد سادت حالة من الصراع بين القبائل العربية في منطقة شرقي الاردن مع دولة المماليك، وقد شكل معضلة كبرى امام الطرفين، ليساهم في عدم الاستقرار في اغلب مناطق شرقي الاردن، ولذلك بذل سلاطين الدولة المملوكية جهودا كبيرة نجحوا من خلالها في التوصل الى اتفاق سلمي وتعاوني مع قبائل المنطقة، واحيانا كانوا يحققوا مكاسب جمة حينما توصلوا الى ادخال تلك القبائل ضمن مؤسسات الدولة المملوكية، ويعود ذلك الى سببين، الاول: ما تمتعت به الدولة من سلطة مركزية قوية خولتها لبسط سيطرتها على كافة الاقاليم الخاضعة للدولة، والسبب الثاني، ان دولة المماليك كانت تستقطب القبائل الكبيرة والقوية لمساعدتها في الحفاظ على سلطاتها.

وعن طبيعة ادخال القبائل البدوية ضمن مؤسسات الدولة المملوكية الادارية، فقد اشار ابن فضل الله العمري والقلقشندي الى ان المماليك استخدموا رتبة ادارية

---

[1] النويري، نهاية الأرب : ٢٥١/١ .
[2] القلقشندي، صبح الأعشى، : ٢٩/١٣، ٣٠، غوانمة، القسم الحضاري : ١٢٢ .
[3] النويري، نهاية الأرب : ٢٥١/١ .

اطلق عليها (امرة العرب) وهي مرتبة عسكرية تدخل ضمن الجهاز الاداري للدولة، ولحامل اللقب مرتبة عالية في جهاز الدولة الاداري[1]، وقد اعتبر امير العرب وامراء القبائل من ارباب السيوف، فكان امراء العربان في مصر يشكلون الطبقة الرابعة والاخيرة في ولاة الامور من جماعة ارباب السيوف، ومثل ذلك كان الامر بالنسبة لعربان الشام حيث ارتبط امراؤهم بالسلطان مباشرة، اذ ان السلطان كان يعين امير العرب والأمراء على مختلف القبائل، وحتى أمراء فروع القبيلة الواحدة[2]، وكان أمراء العرب على مراتب متفاوتة من حيث الاهمية، فعربان آل مرا من عرب شرقي الاردن حصلوا على تفويض سام من السلطان، وقد ساند عرب بنو عقبة وبنو مهدي السلطان محمد بن قلاوون في ثورته بالكرك سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م). لذلك عندما استعاد السلطة للمرة الثانية جعل الامرة فيهم، فرفع منزلة الأمير شطي بن عقبة والحقه بامراء ال فض وامراء ال مرا واقطعة الاقطاعات الجليلة والبسه التشريف الكبير، وعمر له ولاهله البيت والخباء[3].

ومن المهام التي اولاها المماليك لعربان شرقي الاردن، وذلك وفقا لما جاء به المؤرخ ابن فضل الله العمري، حفظ الدروب والممرات، والقومة بخيل البريد ومراكزها، والحملة للسياق في معظم اقاليم المملكة[4]، واشار القلقشندي وابن

---

(1) ابن فضل الله العمري، قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥م : ١٦، ١٨ القلقشندي، صبح الأعشى : ٤/ ٦٨ .

(2) مصطفى الحياري، الإمارة الطائية : ٨١-٨٢ .

(3) القلقشندي، صبح الأعشى : ٢٤٣/٤ .

(4) ابن فضل الله العمري، قبائل العرب: ٦٩ .

شاهين الى المهام التي اوكلت الى عرب ال مرا وغيرهم من عربان شرقي الاردن، بقيامهم بجمع اقوامهم على الطاعة والولاء للدولة المملوكية، وتدريبهم وتهيئتهم للجهاد وللحفاظ على قوة ومكانة المماليك في بلاد الشام، كذلك قمع المفسدين من عربهم، وتحصيل الخيول العربية بما يليق بمقام السلطان، وتقديم الفرسان الأخرى للدولة، اذ ان عرب آل مرا جمعوا ألف فارس لخدمة الدولة المملوكية[1]، وقد خصصت المناطق الممتدة بين اقليم حوران وحتى اقليم البلقاء لإشراف وتصرف عرب آل مرا، حيث ساهموا في الحفاظ على دروب ومسالك التجارة وقوافل الحجاج من عبث الفاسدين وقطاع الطرق، وكان هناك التزام ثابت من قبل عرب آل مرا في استتباب الأمن في هذه المناطق، حتى تضاعف نشاطهم ونفوذهم في العصور المملوكية، إلا ان موقفهم كان أكثر حضوراً وتأثيراً في عصر دولة المماليك الجراكسة، اذ قام أمير عرب آل مرا سنة (٩٠٧هـ /١٥٠١م) مع جماعته بحراسة قافلة الحاج الشامي حتى مدينة أذرعات المتجهة نحو دمشق وذلك عبر أراضي شرقي الأردن، ليوفروا الأمن والسلامة للقافلة، ثم في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) قدمت عشيرة آل مرا بقيادة أميرهم (جانباي) دعماً كبيراً لتأمين سلامة قافلة الحجاج، عبر طريق الحسا وصولاً إلى نيابة دمشق[2] .

كما كانت عرب بني مهدي ملتزمة بالدفاع عن الطرق المؤدية الى بلاد الحجاز، وذلك بالاشتراك مع بني عقبة، وقد حرص عرب مهدي على طاعة الدولة المملوكية، بالإضافة الى انهم ساهموا بتقديم الدعم العسكري، اذ قدّموا ما يزيد على ألف فارس مشاركة مع أقربائهم بني عقبة، كما تولى أمير بني عقبة مسؤولية الإعداد

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى : ١٣٢/١٢، ١٣٤، ١٣٥، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك : ١٠٥.

[2] ابن طولون، مفاكهة الخلان : ٢٥٧/١، ٢٩١ .

للجهاد ومساندة دولة المماليك بكل امر تحتاج اليه، حتى أنهم قدموا رعاية كبيرة للظاهر برقوق بعد خروجه من سجن الكرك بوجهته نحو دمشق[1]، أما عرب بنو عقبة فكان عليهم حماية الطريق الواصل بين المدينة المنورة وحدود غزة، والطريق من البلقاء الى الديار الحجازية، وقد كانوا عونا للظاهر برقوق بعد خروجه من الكرك، اذ نصروه وآزروه عسكريا، وجعلوا في حمايته والدفاع عنه حوالي سبعة الاف فارس بزعامة اميرهم هيثم بن خاطر،[2] اما عرب بني لام فكانوا أشد القبائل العربية شوكة في منطقة شرقي الاردن، وقد أعيت هذه القبيلة دولة المماليك، ولذلك اشتد حرص المماليك على استمالتهم وجعلهم في جانبهم ليضمنوا بذلك تأمين قافلة الحاج الشامي والطريق التجارية من عبث العابثين، ففي سنة (١٩١١هـ/١٥٠٥م) امر اميرهم بعض رجاله بحراسة قافلة الحاج الشامي من العلا وصولاً الى مدينة الحساه وكانوا قد حصلوا على امتيازات كبيرة من جانب السلاطين المماليك، سواء تقديم السلاطين الخلع والهدايا لهم ام بارسال الالقاب والجواري والغلمان والخيل وغيرها[3] .

اما سياسة سلاطين الدولة المملوكية تجاه عربان شرقي الاردن الذين حاولوا التمرد والعصيان او التعرض لقوافل الحجاج والقوافل التجارية فكانت تسعى الى استمالتهم واحتوائهم بشتى السبل والوسائل من ذلك منحهم امتيازات عديدة

---

[1] ابن شاهين، زبدة كشف الممالك : ١٠٥، القلقشندي، صبح الأعشى : ١٢/ ١٣٧ تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣/ ٢٩٣ – ٢٩٤ .

[2] غوانمة القسم الحضاري : ١٣٦ – ١٣٧ . ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩ ق١ : ١٤٠ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ٣/ ٣٤٧ .

[3] ابن طولون، مفاكهة الخلان : ٢٩١/١، ابن طولون، أعلام الورى : ١٧٦ .

كالاقطاعات، وقد احتوت هذه الاقطاعات على مدن وقرى وضياع كثيرة،[1] او استخدام الوسائل العسكرية المباشرة لفرض هيمنة الدولة والمحافظة على سلامة طرق الحجاج والتجارة. ومن امثلة ذلك، انه في سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) هاجم اعراب الكرك بزعامة مبارك شيخ بني عقبة اقامات الحجاج في عقبة ايلة ونهبوها وقتلوا آخورية السلطان، فتضرر بذلك الحجاج اعظم ضرر، واشرفت غالبيتهم على الموت، لقلة الميرة وانعدام الاعلاف، فعظم الامر على السلطان، وباشر بتعيين تجريدة عسكرية يقودها الامير "اوزبك" راس نوبة النوب، والامير "جان بك" حاجب الحجاب الاشرفي المعروف ب "قلقسين" ومعهما اربعة من امراء العشرات وعدة مماليك من المماليك السلطانية لقتال الشيخ مبارك ومن معه من الاعراب، كما ارسل السلطان لنائب الكرك الامير "بلاط اليشبكي" ونائب غزة الامير "اينال الاشقر" بالمسير تجاه الامير "اوزبك" بعقبة أيلة ومناصره على قتال مبارك ونجحت هذه الحملة العسكرية المحدودة في القبض على الشيخ مبارك شيخ بني عقبة ومعه جماعة من أتباعه وقتلوا جميعا[2] .

لم تكن عقبة ايلة هدفا وحيدا من اهداف اعتداءات وغزو عربان شرقي الاردن، بل كانت الكرك والشوبك عرضة لهجماتهم واعتداءاتهم، ففي سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) تغلب العربان على الكرك والشوبك واوقعوا بأهلها، واحدثوا فتنة كبيرة[3]،ثم حدث ذلك في معان والحسا، اذ تعرض الحجاج الى هجوم كبير من اعراب المنطقة، فقد

---

[1] ابراهيم طرخان، النظم الإقطاعية : ١٥٧، القلقشندي، قلائد الجمان : ٧٦ .
[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ١٦ / ٣٠٠ – ٣٠٢ .
[3] ابن إياس، بدائع الزهور : ٢٩٨/٣ .

قبض العربان على قفل الحجاج قبل وصوله الى معان، وفتكوا بهم فتكا عظيما، وصادر ممتلكاتهم واحمالهم، كما تعرضت النساء والاطفال للموت بسبب الجوع والبرد[1] .

وبرغم تحسن العلاقات بين المماليك وعربان شرقي الاردن في كثير من الاحيان، وحصولهم على الامتيازات الكثيرة الا ان ذلك لم يحل بينهم وبين الاستمرار في العصيان والتمرد والخروج على طاعة الدولة المملوكية، وقد ساهم هذا السلوك في انتشار حالة الفوضى والفتن في بلاد الشام، وزادت اعمال السلب والنهب والقتل، فلم تسلم منهم قوافل الحاج الشامي يضاف الى ذلك انهم جعلوا من اهدافهم السطو على المدن والقرى والضياع لا سيما الواقعة على حدود الصحراء،حيث تعرضت معظم قرى عجلون والكرك والسلط والعقبة لنهب القبائل لوقوعها في طريق الحجاج، ونستطيع ان نجمل الاحداث التي غيرت من طبيعة العلاقات ما بين القبائل العربية في شرقي الاردن والسلطة المملوكية، كما حدث سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م) حيث تعرض الحجاج المصريين الى السلب والنهب في العقبة (ايلة) اذ تسبب ذلك في وقوع العديد من القتلى في صفوف حجاج مصر، ونهب ودائع الحجاج في العقبة كما حدث في سنة(٨٠٠هـ/١٣٩٧م)[2]، وفي سنة (٨٩٥هـ/١٤٩٢م) وقعت اعتداءات من عرب بني خالد على قفل العراق، وكان هذا القفل نحو ثلاثة ألاف جمل متجهة الى دمشق فأخذوها عن آخرها[3] وفي سنة

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان : ١/١٦١ .

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢: ٤٥٦- ٤٦٤ . ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩ ق٢: ٣٤٨ .

(3) ابن طولون، مفاكهة الخلان : ١/١٨ .

(٨٩٦هـ/١٤٩٤م) عاد عرب بنو خالد وأغاروا على المناطق الواقعة ما بين حلب وحماة، ونهبوا قفلا تجاريا متجها نحو دمشق، وأخذوا الكثير من النساء والجواري وسلبوا جمالا كثيرة وبضائع وأموالا[1]، وفي سنة (٩٨٣هـ/ ١٤٠٠م) تحرك عرب بلاد حوران آل مرا وسلبوا ونهبوا[2] .

لقد اتخذ سلاطين ونواب الدولة المملوكية من اعتداءات العربان ذريعة لتحقيق اهدافهم السياسية الواسعة، في مناطق بلاد الشام، وخصوصا المناطق الواقعة شرقي الاردن، والتي يتمتع بها بعض القبائل العربية بحرية كبيرة خارجا عن نطاق سيطرة المماليك، ففي سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) كتب السلطان المؤيد شيخ المحمودي الى الامير شاهين نائب الكرك انه جهز اليه نائب غزة ونائب القدس، وكاشف الرملة، وذلك لضرب عشائر بني عقبة ومصادرة اموالهم وأشار عليهم ان يتوجهوا الى الكرك ويجتمعوا جميعا على ضرب عرب بني عقبة كما اسر الى نائب غزة ان يقبض على نائب الكرك ويوقع الحوطة على جميع موجوداته من الاقطاعات والنقود وغيرها[3]، ويؤكد المؤرخ المقريزي ان حالة من العداء بين السلطة المملوكية وعرب شرقي الاردن، لا سيما عرب بني عقبة اخذت في الازدياد مما دفع السلطان الى مواجهتهم والحد من مخاطرهم على مصالح الدولة، ففي العام (٨٢١هـ/١٤١٨م) بعث السلطان نائب غزة ونائب القدس لنجدة نائب الكرك الذي تعرض لاعتداءات عرب بني عقبة[4]، ثم في العام (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) واغار نائب دمشق الأمير انيـال

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان : ١٢٥/١ .
(2) المصدر نفسه : ٩٨/١ .
(3) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١ : ٤٤٦ .
(4) المقريزي، السلوك، ج٤ ق١ : ٤٥١ .

على قبيلة الامير مشلب من امراء بني لام، الذين تعدوا مرارا على قافلة الحجاج، حيث نهبوا منها اموالا كثيرة، وذلك في شهر ربيع الاول من عام (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) اذ خرج نائب الشام الامير قصروه من دمشق باتجاه عرب بني صخر فقتل منهم نحو العشرين وقبض على جماعة منهم، وسلب منهم دواب كثيرة من الابل والغنم والبقر، ثم عاد الى اربد يوم الاحد ١٥ربيع الاول وارسل بشيرا بذلك الى دمشق، ودقت البشائر بدمشق، ثم عاد الى دمشق[1] . ورغم كل المحاولات التي حملت الحزم والقوة من جانب الدولة المملوكية ضد مخاطر وتهديدات القبائل العربية في شرقي الاردن الا ان ذلك لم يمنع تلك القبائل من الاستمرار في اعتداءاتها على قوافل الحجاج والتجارة، لا سيما قطع الحاج الشامي والمصري ففي سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) استأنفت عرب بني لام نشاطها في قطع الطرق الواصلة الى دمشق ونواحيها، مما دفع بنائب دمشق الى حشد الجند والدعوة الى الجهاد في سبيل الله، وهو الامر الذي يكشف عن سطوة قبائل العربان وقوتها وخطرها في المنطقة[2].

اما عن طبيعة مجتمع شرقي الاردن عصر دولة المماليك فقد كان مجتمعا طبقيا اقطاعيا مغلقا، لا يختلف في ذلك عن مجتمع الشام والديار المصرية، فحقوق الفرد في هذا المجتمع تختلف بحسب الطبقة التي ينتمي اليها الفرد نفسه، وثمة ثلاث طبقات شكلت بنية المجتمع الاردني في العصور المملوكية، كطبقة المماليك، وهي الطبقة الحاكمة وهي طبقة اقطاعية عسكرية، احتكرت السلطة وامتلاك الاراضي والاقطاعات الكبيرة، وأنيط بها مهمة الدفاع وما يتعلق بشؤون الحرب وكــــذلك ظلــــــــت

---

[1] ابن طولون مفاكهة الخلان : ٢٢٥/١، ٢٢٦، ابن طولون، أعلام الورى : ١٠٢ .
[2] ابن طولون، مفاكهة الخلان : ٢٣٣/١، ٢٤٠ .

هذه الطبقة بمعزل عن بقية طبقات المجتمع دونما اندماج به، الامر الذي خلق هوة عميقة بينهم وبين الناس، اذ كانوا ينظرون الى المجتمع نظرة دونية واقل منهم درجة[1]،وهناك طبقة المعممين، وتشمل ارباب القلم من اصحاب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والادباء والكتاب، واهل التصوف، وطلاب العلم، وقد حظيت هذه الطبقة برعاية واحترام سلاطين الدولة المملوكية، فقربوهم اليهم ومنحوهم اعلى الامتيازات، وجعلوهم محط مشورتهم[2]،اما الطبقة الثالثة فكانت طبقة عامة الشعب، وهم العامة، من رجال الحرف المختلفة، من صناع وزراع وتجار، ويشكلون السواد الاعظم من سكان البلاد في القرى والمدن وقد كان لهذه الطبقة الدور الاكبر في الابداع والابتكار والتطور، سواء على الصعيد العلمي او المعماري وحتى الاقتصادي، وامتازت هذه الطبقة بولائها ووفائها للسلطة الحاكمة فقد وقفوا الى جانب الملك الناصر داود وناصروه، ووقفوا مع اميرهم الملك المغيث عمر، كما يبدوا موقف السعيد والمسعود ولدي السلطان الملك الظاهر بيبرس، وايدوا ثورتهما وحاربوا في جيشيهما، كما وقفوا الى جانب الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان لهم وقفة عظيمة الى جانب الظاهر برقرق، حيث اخرجوه من سجنه في الكرك وبايعوه على السلطة، وقدموا له المال والرجال[3].

وقد توزع سكان شرقي الاردن على المدن والقرى والبادية، ونلاحظ ان غالبية مدن شرقي الاردن استقطبت اخلاطا مختلفة من الناس ساعد على افراز حياة

---

[1] يوسف غوانمة، القسم الحضاري : ١٢٧، كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: ٢٤٦/١.

[2] غوانمة، القسم الحضاري: ١٢٨/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ١٢/١ .

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ١١/ ٣٥٠ .

زاخرة بالنشاط والانتاج ولا سيما وقد انتشرت فيها المدارس والبيمارستانات والحمامات والاسواق والمساجد الكبيرة بالاضافة الى اهتمام سكان المدن بالصناعة والتجارة، فكانوا محط تقدير واحترام سلاطين الدولة المملوكية، اما سكان القرى وهم الغالبية السكانية، فانتشروا في المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، وكرّس معظم هؤلاء نشاطهم على الزراعة والصيد، الا ان معظم الاراضي التي كانوا يعملون بها انما كانت اقطاعات عسكرية لامراء المماليك، ولقد وصفت شرقي الاردن ولا سيما مناطقها الشمالية بأنها كانت تشكل معظم أخباز العسكر وأرزاقهم[1]،ولقد شاع نظام الوقف في عهد السلطة المملوكية، اذ ان معظم القرى اوقفت على المدارس والمساجد، ومقامات الصحابة، والمنشآت العامة والبيمارستانات، ومن امثلة ذلك ما وقفه السلطان الاشرف شعبان على مدرسته بالقاهرة في جمادى الاولى سنة ـ٧٧٧هـ/١٣٧٥م) من اوقاف تشمل قرية (ادر) الواقعة شرقي الكرك والبستان والحمام في وادي الكرك، ومما جاء في نص وثيقة الوقف ... ومن الموقوف جميع البستان واراضيه، وجميع الحمام .... وهذا البستان المذكور والحمام بوادي الكرك المحروسة من الخاص الشريف المشتمل البستان المذكور أشجار ثابتة بأراضيه هي : الحور، والرمان، والمشمش، والتفاح، والورد، والتين، والعنب، والاترج، والمحلب وغير ذلك، وماية من الدور المعدة لسكنى مستأجريه وهي ثلاثة دور[2] كما كان البدو يشكلون قطاعا كبيرا من سكان شرقي الاردن، حيث ينتشرون في البادية من جنوبي الاردن، وحتى مناطقها الشمالية وقد امتهنوا الرعي وتربية الماشية وباعـوا الفائـــــض

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى: ٣١٤/١٢ / غوانمة، القسم الحضاري : ١٢٨-١٢٩ .

[2] من نصوص وقفية البستان والحمام بوادي الكرك للسلطان الأشرف شعبان في ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، رقم ٤٩، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

من انتاجهم في المدن والقرى والاسواق الموسمية، واعتبروا انفسهم طبقة عسكرية محاربة تعلو على طبقة الفلاحين الذين كانوا يقاسون من ظلمهم واعتداءاتهم في احيان كثيرة وكانت علاقاتهم بالسلطة المركزية لدولة المماليك متقلبة وفقا للظروف الاقتصادية والسياسية وقد كان العديد من القبائل العربية تسكن مناطق شرقي الاردن، كبني عقبة ومنازلهم في الكرك والشوبك وبني مهدي حيث يتواجدون في اراضي البلقاء وعرب ال مرا ومناطقهم الزرقا والضليل من شمالي الاردن الى حوران والجولان وبني غانم ومساكنهم الكرك والشوبك، وبني صخر سكنوا معظم مناطق الاردن[1] .

واذا ما ألقينا نظرة على الطوائف الدينية في منطقة شرقي الاردن ايام حكم المماليك نجد أن هناك تواجدا لاتباع الديانات السماوية الثلاثة، الاسلام والنصرانية واليهودية، في حين كان المسلمون يشكلون سواد السكان الاعظم، أي ان المسلمون هم غالبية سكان شرقي الاردن ونلاحظ ان المذهب السني كان مذهب سكان المنطقة، اما النصارى فهم ايضا تواجدوا في اكثر مناطق الاردن، وساد بينهم روح التعاون ضد الغزاة سواء الفرنجة ام المغول، ولم يترددوا في تقديم خدماتهم الى سلاطين دولة المماليك، من ذلك ما قام به الراهب الشوبكي الذي سافر الى صقلية ليستقصي اخبار الامبراطور فردريك الثاني وحملته السادسة الى الديار المقدسة، لصالح الملك المعظم عيسى، ومن ذلك قيامهم بتأييد ثورات الملك الناصر محمد والناصر احمد والظاهر برقوق، اذ روى ان نصرانيا من الشوبك قدم لبرقوق مائة الف دينار لينفقها في اعداد الجيش والعساكر، وكان لذلك الموقف حظوة كبيرة ومكانة خاصة لنصارى الكرك لدى سلاطين الدولة المملوكية والحقيقة ان

---

[1] غوانمة، القسم الحضاري : ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ .

علاقة الدولة بالنصارى انعكست على علاقة سكان الأردن المسلمين عموماً تجاه النصارى، حيث ارتبطوا بعلاقات وثيقة وحسنة، يحكمها المصلحة المشتركة والدفاع المشترك، وقد روى القلقشندي ما يعزز موقف السلطة المملوكية تجاه النصارى، وحرصهم على تأمين العيش الكريم لهم، واهتمامهم بعلاقات حسنة مع المسلمينن فقد كتب الناصر محمد بن قلاوون لابنه الأمير أحمد عندما قلده نيابة الكرك تقليداً بذلك اوصاه خيراً بنصارى الكرك ومنطقتها وفي ذلك يقول: "وأهل الذمة فآوهم إلى كنف العدل الواسع، واحمهم أن تمتد إلى أنفسهم يد جان، وإلى أموالهم يد طامع وأقم عليهم بأساً يحل بهم إذا اعتدوا القواصم والقوارع، وادم لهم مهابة تسد من فساد الذرائع[1]، وصدر مرسوم سلطاني سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، حُدد بموجبه زي النصاي واليهود، فألزم النصارى بلبس العمائم الزرقاء واليهود الصفراء والسامرة العمائم الحمراء، وأمر السلطان الناصر محمد إذاعة هذا المرسوم في جميع الأراضي الممتدة ما بين النوبة والفرات، فيما عدا الكرك والشوبك، فلم يأمر بتغيير عمائمهم وظلوا يضعون العمائم البيضاء أسوة بالمسلمين[2]، مما يدل على عمق العلاقات بين السلطان والنصارى والنصارى والمسلمين من ناحية ثانية.

أما اليهود فقد عاشوا كأقليات في بعض مناطق شرقي الأردن، وكان أكثر تواجدهم في المدن، فذكر المقريزي انهم وجدوا في مدينة العقبة، لأهمية هذه المدينة تجارياً، كما أطلعتنا المصادر التاريخية على تواجد بسيط لليهود في مدينة عجلون (جلعاد)[3]، اما بعض المصادر فقد لاحظت نشاطاً اقتصادياً وتجارياً لدى اليهود، مما يدل على الأمن والاستقرار وروح التسامح الديني الذي نعم به اليهود في ظل المجتمع المملوكي، إذا كان منهم الحرفيون كالصاغة والصيارفة والصبّاغون والأساكفة، كما اشتغلوا بالعلوم لا سيما العلوم الطبية[4] .

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى : ٢٣١/١٢، ٢٣٢، غوانمة، القسم الحضاري : ١٣٨.
(2) المقريزي، السلوك : ٩١٢/١ .
(3) المقريزي، الخطط والآثار : ٣٢٥ .
(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء : ١١٥/٢ ـ ١١٧ .





الملاحق



الملحق رقم (١)

جدول بأسماء نواب السلطنة في الكرك في عصر دولة المماليك الأولى (التركية)[1]

النائب	مدة نيابته	السلطان المعاصر
١- عز الدين آيدمر الظاهري	٦٦١ -٦٧٠ هـ (١٢٦٢-١٢٧١م)	الظاهر بيبرس
٢- علاء الدين أيدكين الفخري	٦٧٠-٦٧٨هـ (١٢٧١-١٢٧٩م)	الظاهر بيبرس
٣- الملك السعيد بن الظاهر بيبرس	٦٧٨هـ (١٢٧٩م)	مستقلا عن الكرك
٤- علاء الدين أيدغدي الحراني	٦٧٨ - ٦٨٢هـ (١٢٧٩- ١٢٧٣م)	نائبا للملك السعيد وأخيه المسعود
٥- الملك المسعود بن الظاهر بيبرس	٦٧٨ - ٦٨٥هـ (١٢٨٣- ١٢٨٦م)	مستقلا في الكرك
٦- عز الدين آيبك الموصلي المنصوري	٦٨٥هـ (١٢٨٦م)	المنصور قلاوون
٧- ركن الدين بيبرس الدوادار	٦٨٥- ٦٩٠هـ (١٢٨٦- ١٢٩١م)	المنصور قلاوون والأشرف خليل
٨- جمال الدين أقوش الأشرفي	٦٩٠- ٧٠٨هـ (١٢٩١ - ١٣٨٠م)	الأشرف خليل والناصر محمد وزين الدين كتبغا ولاجين
٩- الملك محمد بن قلاوون ونائبه جمال الدين أقوش	٧٠٨- ٧٠٩هـ (١٣٠٨- ١٣١١م)	مستقلا في الكرك
١٠- سيف الدين أيتتمش المحمدي	٧٠٩- ٧١١هـ (١٣٠٩- ١٣١١م)	الناصر محمد بن قلاوون

---

[1] يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي، المماليك البحرية، الطبعة الثانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٢ م .

١١- سيف الدين بيبيغا الأشرفي	٧١١ -٧١٦ هـ (١٣١١-١٣١٦م)	الناصر محمد بن قلاوون
١٢- عز الدين طقطاوي الناصري	٧١٦-٧١٨هـ (١٣١٦-١٣١٨م)	الناصر محمد بن قلاوون
١٣- عز الدين آيبك الجمالي	٧١٨ـ ٧٢٥هـ (١٣٢٨- ١٣٢٤م)	الناصر محمد بن قلاوون
١٤- سيف الدين بهادر بن عبد الله قلاوون	٧٢٥ – ٧٣١هـ (١٣٢٤- ١٣٣٠م)	الناصر محمد البدري (ومعه الناصر احمد بن محمد بن قلاوون)
١٥- ملكتمر الرجواني الناصري (الأولى) ومعه الناصر أحمد بن قلاوون	٧٣١ – ٧٤٢هـ (١٣٣٠- ١٣٤١م)	محمد بن قلاوون، وأبو بكر وكجك
١٦- السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	٧٤٢ – ٧٤٥ هـ (١٣٤١- ١٣٤٤م)	مستقلا في الكرك
١٧- سيف الدين قبلاوي بن عبد الله الناصري الحاجب (الأولى)	٧٤٥ هـ (١٣٤٤م)	عماد الدين إسماعيل
١٨- ملكتمر الرجواني الناصير (الثانية)	٧٤٥- ٧٤٦هـ (١٣٤٤ – ١٣٤٥م)	إسماعيل وشعبان الأول
١٩- سيف الدين قبلاوي بن عبد الله الناصري الحاجب (الثانية)	٧٤٦- ٧٤٧هـ (١٣٤٥- ١٣٤٦م)	شعبان
٢٠- سيف الدين تمربغا بن عبد الله العقيلي	٧٤٧- ٧٤٩هـ (١٣٤٦- ١٣٤٨م)	حاجي، حسن الأول
٢١- الأمير جركتمر	٧٤٩ -٧٥١ هـ (١٣٤٨ – ١٣٥٠م)	سلطنة حسن الأول
٢٢- أرلان أمير آخور (الثانية)	٧٥١- ٧٦٢ هـ (١٣٥٠-١٣٦٠م)	حسن، صالح بن محمد، وحسن

٢٣- طشتمر القاسمي	٧٦٢ -٧٦٤ هـ (١٣٦٠-١٣٦٢م)	محمد بن المظفر حاجي
٢٤- أحمد بن القشتمري	٧٦٤-٧٦٩هـ (١٣٦٢-١٣٦٧م)	سلطنة شعبان الثانية
٢٥- عمر بن آرغون النائب	٧٦٩ – ٧٧٥هـ (١٣٦٧- ١٣٧٣م)	سلطنة شعبان الثانية
٢٦- منلكي بغا البلدي الاحمدي	٧٧٥ هـ (١٣٧٣م) خمسة شهر	سلطنة شعبان الثانية
٢٧- طيدمر البالسي	٧٧٥ – ٧٧٧هـ (١٣٧٣- ١٣٧٥م)	سلطنة شعبان الثانية
٢٨- تمرباي الدمرداشي	٧٧٧- ٧٧٨ هـ	سلطنة شعبان الثانية
٢٩- ملكتمر بن بركة	٧٧٨ – ٧٨٠ هـ	علاء الدين علي
٣٠- منلكي بغا بن عبد الله الشمسي الطرخاني	٧٨٠- ٧٨٣هـ (١٣٧٨ – ١٣٨١م)	علاء الدين علي وصلاح الدين أمير حاجي
٣١- طغاي تمر القبلاوي	٧٨٣- ٧٨٣هـ (١٣٨١- ١٣٨٤م)	أمير حاجي وبرقوق


الذخيرة العربية

الملحق رقم (٢)

جدول بأسماء نواب السلطنة في الكرك في عصر دولة المماليك الثانية (الجراكسة)[1]

النائب	مدة نيابته	السلطان المعاصر
١- سيف الدين طغاي تمر القبلاوي	٧٨٣- ٧٨٥هـ/ ١٣٨١-١٣٨٣م	برقوق
٢- دمرداش القشتمري (الأولى)	٧٨٥- ٧٨٧هـ /١٣٨٣- ١٣٨٥م	برقوق
٣- علاء الدين الطنبغا الجوباني	٧٨٧- ٧٨٩هـ /١٣٨٥ – ١٣٨٧م	برقوق
٤- مأمور بن عبد القلمطاوي	٧٨٩-٧٩١هـ /١٣٨٧- ١٣٨٨م	برقوق
٥- حسن بن علي الكُجكني	٧٩١هـ عُزل في السنة نفسها/ ١٣٨٨م	حاجي
٦- دمرداش القشتمري (الثانية)	٧٩١هـ عُزل في السنة نفسها / ١٣٨٨م	برقوق
٧- قديد بن عبد الله القلمطاوي	٧٩٢- ٧٩٣هـ / ١٣٨٩-١٣٩٠هـ	برقوق
٨- شرف الدين يونس القشتمري	٧٩٣- ٧٩٥هـ / ١٣٩٠- ١٣٩٢م	برقوق
٩- شهاب الدين أحمد بن الشيخ علي	٧٩٦- ٧٩٧هـ / ١٣٩٣- ١٣٩٤م	برقوق
١٠- بتخاص السودوني	٧٩٧- ٧٩٩هـ / ١٣٩٤- ١٣٩٦م	برقوق
١١- ناصر الدين محمد بن مبارك	٧٩٩هـ عُزل في السنة نفسها / ١٣٩٦م	برقوق
١٢- الطنبغا حاجب غزة	٧٩٩هـ عزل في السنة نفسها / ١٣٩٦ م	برقوق
١٣- أقبغا اللكاش الظاهري	٨٠١هـ لم يتسلمها / ١٣٩٨م	برقوق
١٤- سودون الظريف	٨٠١- ٨٠٢هـ / ١٣٩٨ – ١٣٩٩م	فرج
١٥- جركس والدتتم	٨٠٢- ٨٠٤هـ / ١٣٩٩- ١٤٠١م	فرج

[1] شوكت حجة، التاريخ السياسي لمنطقة شرقي الأردن من جنوب الشام، في عصر دولة المماليك الثانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، قسم التاريخ .

١٦- سليمان التركماني	٨٠٤هـ عزل في السنة نفسها / ١٤٠١ م	برقوق
١٧- جُمق الدوادار الثاني	٨٠٤هـ ٨٠٦هـ / ١٤٠١-١٤٠٣م	برقوق
١٨- جمال الدين بن الهذبان	٨٠٦ هـ عُزل في السنة نفسها/ ١٤٠٣ هـ	فرج
١٩- محمد الكركي (ابن الغرابيلي)	٨٠٦-٨٠٧هـ /١٤٠٣- ١٤٠٤م	فرج
٢٠- علم الدين سلمان	٨٠٧هـ لم نستطيع تحديد مدته / ١٤٠٤م	فرج
٢١- سودون الجلب	٨٠٩- ٨١٢هـ / ١٤٠٦- ١٤٠٩م	فرج
٢٢- محمد التركماني شيخ المحموري	٨١٣هـ عُزل في السنة نفسها / ١٤١٠م	فرج
٢٣- أسنبغا الزردكاش	٨١٤هـ لم نستطع معرفة مدة ولايته	فرج
٢٤- تنبك البجاسي	لم نستطع معرفة مدة ولايته	المؤيد شيخ
٢٥- يشبك المشد	٨١٧-٨١٨هـ/ ١٤١٤-١٤١٥م	المؤيد شيخ
٢٦- شاهين الفارسي(الاولى)	٨١٨-٨٢١هـ / ١٤١٥-١٤١٨م	المؤيد شيخ
٢٧- كُزل بن عبد الله الأرغون شاوي	كان نائب بالكرك سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م	المؤيد شيخ
٢٨- شاهين الفارسي (الثانية)	٨٢٢- ٨٢٦هـ / ١٤١٩-١٤٢٣م	المؤيد شيخ
		أحمد بن المؤيد
		سيف الدين ططر
		محمد بن ططر
		الأشرف برسباي
		يوسف بن برسباي
٢٩- أركماس الظاهري	٨٢٧هـ عُزل في السنة نفسها / ١٤٢٤م	جمال الدين
	يوسف بن برسباي	
٣٠- عمر شاه التركماني	في حدود سنة ٨٢٧- ٨٤٠هـ /	جمال الدين
	١٤٢٤ – ١٤٣٦ م	يوسف بن برسباي

٣١- خليل بن شاهين الظاهري	٨٤١- ٨٤٣هـ/ ١٤٣٨-١٤٣٩م	جمال الدين
		يوسف بن برسباي
		جمقمق
٣٢- أقبغا التركماني	٨٤٢- ٨٤٣هـ /١٤٣٨ -١٤٣٩م	جقُمق
٣٣- مازي الظاهري	٨٤٣- ٨٥١هـ /١٤٣٩ - ١٤٤٧م	جقُمق
٣٤- أينال اليشبكي الجمكي	٨٥١-٨٥٦هـ /١٤٤٧- ١٤٥٢م	جقُمق
٣٥- طوغان المنقار	٨٥٦هـ قتل في السنة نفسها/ ١٤٥٢م	جقُمق
٣٦- يشبك المؤيدي (طاز)	٨٥٦- ٨٦٤هـ / ١٤١٢- ١٤٥٩م	أينال العلائي
٣٧- تغري بردي الأشرفي	٨٦٤- ٨٦٦هـ / ١٤٥٩-١٤٦١ م	أينال العلائي
		احمد بن أينال خشقدم
٣٨- مبارك شاه بن عبد الرحمن	٨٦٦- ٨٦٧هـ / ١٤٦١- ١٤٦٢م	خشقدم
٣٩- حسن بن أيوب	٨٦٧- ٨٦٩هـ / ١٤٦٢- ١٤٦٤م	خشقدم
٤٠- بلاط اليشبكي (الأولى)	٨٦٩هـ عُزل في السنة نفسها / ١٤٦٤م	خشقدم
٤١- جاني بك التتمي	٨٦٩ - ٨٧٠هـ /١٤٦٤-١٤٦٥م	خشقدم
٤٢- بلاط اليشبكي (الثانية)	٨٧٠ - ٨٧٢هـ / ١٤٦٥- ١٤٦٧م	خشقدم
٤٣- حسن بن يوسف بن أيوب	٨٧٢هـ لم نستطيع تحديد مدته / ١٤٦٧م	

لم نستطع تحديد من ناب بالكرك بعد حسن بن يوسف بن أيوب حتى سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م

٤٤- جاني بك العلائي الطويل	٨٨٧- ٨٩٠هـ / ١٤٨٢ - ١٤٨٥م	الأشرف قايتباي
٤٥- أميرزاه بن حسن الدوكاري	٨٩٠- ٨٩٦هـ / ١٤٧٥- ١٤٩٠م	الأشرف قايتباي
٤٦- قايتباي الرمضاني (الأولى)	٨٩٦- ٩٠٢هـ / ١٤٩٠- ١٤٩٦م	الأشرف قايتباي
		محمد بن قايتباي
٤٧- جان بلاط الأشرفي (الأولى)	٩٠٢هـ عزل في السنة نفسها/ ١٤٩٦ م	محمد بن قايتباي
٤٨- قصروة	٩٠٢هـ لم نستطيع تحديد مدته / ١٤٩٦م	محمد بن قايتباي

٤٩- تنم	لم نستطع تحديد بدايته - ٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م	الأشرف قانصوه الغوري
٥٠- جان بلاط الأشرفي (الثانية)	٩٠٤ هـ - لم نستطيع تحديد مدته / ١٤٩٨م	الأشرف قانصوه الغوري
٥١- قايتباي الرمضاني (الثانية)	٩١١- ٩١٢هـ /١٥٠٥ - ١٥٠٦م	الأشرف قانصوه الغوري
٥٢- يوسف الدوادار ملاج	٩١٢-٩١٦هـ /١٥٠٦- ١٥١٠م	الأشرف قانصوه الغوري
٥٣- جان بردي الغزالي	٩١٦-٩١٨هـ /١٥١٠- ١٥١٢م	الأشرف قانصوه الغوري
٥٤- دولات باي الأعمش	٩٢٢هـ عزل في نفس السنة / ١٥١٦ م	الأشرف قانصوه الغوري
٥٥- الأمير قايتباي	٩٢٢هـ - ١٥١٦ م	الأشرف قانصوه الغوري

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية القاهرة، ١٨٨٢م .

٢- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢م .

٣- ابن الجيعان (ت ٩٠٢هـ) القاضي بدر الدين أبو البقاء، القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، منشورات جروس برس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م .

٤- ابن حجر العسقلاني ،

أ. أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق عبد الله الحضرمي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

ب. الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦م .

٥- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، منشورات دار الكتب اللبنانية، بيروت ، ١٩٧٩م .

٦- ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك ، تصحيح بولس إدريس ، باريس ، ١٨٩٣ م .

٧- ابن الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، طبعة دار الكاتب العربي، بيروت، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

٨- ابن شداد (ت ٦٩٤هـ) عز الدين محمد الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، خاص بتاريخ لبنان، الأردن، فلسطين ، عني بنشره وتحقيقه، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ١٩٦٢م .

٩- ابن الصيرفي (ت ٩٠٠هـ) علي بن داود ، أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٠- ابن طولون ،

أ. قضاة دمشق (المعروف بالثغر البسّام في ذكر من ولي قضاة الشام) تحقيق، الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٦م .

ب. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٤م .

١١- ابن عبد الظاهر ،

أ. تشريف الأيام والعصور .

ب. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز، الرياض، ١٩٧٦م .

١٢- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٩٥٨م.

١٣- ابن عربشاه (٨٥٨هـ) ، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، بيروت، ١٩٨٦م .

١٤- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهبي في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

١٥- ابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ)، تاريخ ابن الفرات، نشر قسطنطين زريق، بيروت،

١٩٦٦م.

١٦- ابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) .

أ. التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٨م

ب. دولة المماليك الاولى، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م .

جـ- قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥م .

١٧- ابن قاضي شهبة- الأعلام بتاريخ أهل الشام، تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م .

١٨- ابن كثير ، البداية والنهاية، القاهرة، ١٣٥٨هـ .

١٩- ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) زين الدين عمر، تتمة المختصر في أخبار البشر، بيروت ١٩٩٦ م .

٢٠- أبو شامة ، تراجم رجال القرنين.

٢١- أبو الفداء (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بطبعة، رينود والبارون ويسلان ، باريس ، ١٨٥٠م .

٢٢- الأنصاري ، (ت بعد ١٠٠٢ هـ) شرف الدين موسى، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق عدنان محمد إبراهيم، وزارة الثقافة وإحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٩١م .

٢٣- بيبرس المنصوري (ت ٧٧٥هـ / ١٣٢٥م) ، التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشر عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٨٧م.

٢٤- الدودار، ابن أيبك (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م) – الدّر الفاخر في سيرة الملك الناصر، القاهرة ، ١٩٦٠/ ١٩٧٢م .
٢٥- السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)
أ. التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات ، الأزهرية، القاهرة.
ب. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة ، بيروت، د.ت.
٢٦- السيوطي، حسن المحاظرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية (د. م)، ١٩٦٧م.
٢٧- العيني (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بدر الدين، عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث سنة ٧٩٩ – ٨٣٠هـ) ، مخطوط في المكتبة المصرية، باريس رقم (١٥٤٤) ومنها نسخة مصورة بالجامعة الأردنية رقم (٢٦١) .
٢٨- الغزّي (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٩- القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩م.
٣٠- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٣١- مجهول ، قطعة من تاريخ القرن التاسع للهجرة/ الخامس العشر الميلادي، مخطوط في مكتبة تشستر بيتي ، دبلن – ايرلندا رقم ٤١٢٥، ومنه نسخه مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية رقم ٤١٢٥.
٣٢- مفضل بن أبي الفضل – المنهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، باريس ، ١٩٢٠ م .

٣٣- المقريزي،

أ. إغاثة الأمة بكشف الغمة .

ب. السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦، ١٩٧٠ ، ١٩٧٢م.

٣٤- النعيمي، الدّارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني ، دمشق، ١٩٤٨م.

٣٥- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٦- الهمذاني (٧١٨هـ) رشيد الدين، جامع التواريخ، الايلخانيون، تاريخ هولاكو وغازان ، نقله إلى العربية فؤاد الصياد وآخرون (القاهرة ١٩٦٠م)

٣٧- اليونيني البعلبكي، ذيل مرآة الزمان، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٤ – ١٩٦١م .

المراجع

١- أمين ، محمد محمد :

أ. الأوقاف والحياة الاجتماعية في عصر دولة المماليك، القاهرة، ١٩٨٠م.

ب. فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٨١م.

٢- البحيري، صلاح الدين، جغرافية الأردن، عمان، ١٩٧٣م .

٣- البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي ، عمان ١٩٧٦م.

٤- حتي، فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت، (د.ت) .

٥- حجة ، شوكت ، تاريخ شرقي الأردن في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ، قسم التاريخ ، ١٩٩٦م .

٦- الحجي ، حياة ناصر، السلطان محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، الكويت ، ١٩٨٣م .

٧- الحياري، مصطفى، الإمارة الطائية في بلاد الشام، وزارة الثقافة ، عمان، ١٩٧٧م.

٨- درّاج، احمد ، تراجم كتاب السر في العصر المملوكي، مجلة البحث العلمي، العدد ٤ سنة ١٤٠١ هـ - جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٩- سالم، عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

١٠- السيد ، أمين عبد، قيام دولة المماليك الثانية. وزارة الثقافة القاهرة، ١٩٩٦م .

١١- شقير ، نعوم ، تاريخ سينا والعرب ، مصر، ١٩١٦م .

١٢- شميساني ، حسن ، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

١٣- صفا، أسد الله :
أ. تيمورلنك ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٠م .
ب. جنكيزخان الوحشي النابغة، دار النفائس، بيروت ١٩٨٨م
١٤- الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م .
١٥- ضومط، أنطون خليل، الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري) بيروت ١٩٨٢م .
١٦- الطراونة ، طه ، مملكة صفد في عهد المماليك، بيروت، ١٩٨٢م.
١٧- طرخان ، إبراهيم علي :
أ. مصر في عصر الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
ب. النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م .
١٨- عاشور، سعيد عبد الفتاح ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢م .
١٩- عاشور ، فايد حماد ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ، دار المعارف بمصر، (د.ت).
٢٠- العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك في مصر والشام، بيروت، ١٩٦٩ م .
٢١- العريني ، السيد الباز :
أ. المغول، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
ب. المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م .
٢٢- العلبي، أكرم حسن، تيمورلنك وحكايته مع دمشق، دمشق، ١٩٨٧م.

٢٣- غوانمة، يوسف :
أ- إمارة الكرك الأيوبية، عمّان ، ١٩٨٢م .
ب- أيلة (العقبة) البحر الأحمر وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، اربد، ١٩٨٤م .
ج- التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي (المماليك البحرية) عمان، ١٩٨٢م .
د- تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم السياسي)، عمان ، ١٩٧٩ م .
هـ- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، عمان، ١٩٩٢م.
و- عمّان حضارتها وتاريخها ، عمان، ١٩٧٩م .
ز- التجارة الدولية في مناطق شرقي الأردن (من جنوب الشام) في العصر المملوكي ، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٣-٢٤ ، دمشق ١٩٨٦م .
ح- الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي، اربد ١٩٨٤م.
ط- دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، عمان، ١٩٨٣م.
ي- الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي ، مجلة دراسات تاريخية العددان ١٣ - ١٤ ، دمشق، ١٩٨٣م .
٢٤- فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة، مصر، ١٩٧٠م .
٢٥- كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، دار القلم ، بيروت، ١٩٧٢م .

٢٦- ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، ١٩٨٨م .
٢٧- اليوزبكي، توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، الموصل، ١٩٧٥م .


الذخيرة العربية



كشاف الأعلام



- الألف -

– الجيم –

- الشين -

– الغين –

– الفاء –

- القاف -

- الكاف -

- اللام -

- الميم -





كشاف الأمكنة



- الألف -

- **الغين** -

- **الفاء** -

- **القاف** -

– الكاف –

– اللام –

– الميم –

- النون -

- الهاء -

- الواو -

- الياء -

فهرس المحتويات



منشورات

لجنة تاريخ الأردن

رقم (٦٦)

ذو القعدة ١٤١٩ هـ

شباط (فبراير) ١٩٩٩م

لجنة تاريخ الأردن

بواسطة

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

(مؤسسة آل البيت)

العنوان البريدي : ص.ب (٩٥٠٣٦١) عمّان ١١١٩٥

العنوان البرقي : آل البيت – عمان

التلكس : 22363 Albait Jo, Amman – Jordan

الفاكس : ٥٥٢٦٤٧١ ـ ٦ ـ ٩٦٢

الهاتف : ٥٥٣٩٤٧١ ـ ٦ ـ ٩٦٢

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٣٥ / ٢ / ١٩٩٩)

منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن

أ: المنشورات التي صدرت ضمن السلاسل الأربع (سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن، وسلسلة كتب المطالع
سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، وسلسلة المصادر والمراجع) وعددها (٥٥) كتاباً:
سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن :

الكتاب	المؤلف	الثمن (بالدينار الأردني)
١- الأردن في العصور الحجرية (الطبعة الثانية)	الأستاذ الدكتور زيدان كفافي	٠٠٠ر٤
٢- جنوبي بلاد الشام: تاريخه وآثاره في العصور البرونزية	الأستاذ الدكتور خير نمر ياسين	٠٠٠ر٤
٣- تاريخ الأردن منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي	الأستاذ الدكتور محمد خريسات	٥٠٠ر٢
٤- قضاء عجلون في عصر التنظيمات العثمانية	السيد عليان الجالودي والأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت	٥٠٠ر١
٥- النشر والمطابع والمكتبات	الدكتور فاروق منصور	٠٠٠ر١
٦- الأردن : دراسة جغرافية (الطبعة الثانية)	الأستاذ الدكتور صلاح الدين البحيري	٠٠٠ر١
٧- التعليم العام في الأردن	الأستاذ الدكتور أحمد يوسف التل	٥٠٠ر١
٨- برامج تعليم الكبار ومحو الأمية في الأردن	السيد عبد الكريم المومني	٠٠٠ر١
٩- التعليم المهني في الأردن	الدكتور المهندس منذر واصف المصري	٥٠٠ر٣
١- تطور وسائط النقل في الأردن (١٩٠٠-١٩٨٨م)	الأستاذ الدكتور يوسف صيام	٥٠٠ر١
١- القصة القصيرة في الأردن	الأستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي	٠٠٠ر٣
١- الإسكان في الأردن	المهندس حمد الله النابلسي	٠٠٠ر١
١- الحياة النيابية في الأردن (١٩٢٠ – ١٩٩٣م)	السيد هاني خير	٥٠٠ر٢
١- تطور التجارة الخارجية في الأردن (١٩٢١- ١٩٩١م)	الدكتور منذر الشرع	٠٠٠ر١

الكتاب	المؤلف	الثمن (بالدينار الأردني)
١- منطقة البلقاء والكرك ومعان ١٢٨١ – ١٣٣٧ هــــ / ١٨٦٤ – ١٩١٨ م	السيد محمد سالم الطراونة والأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت	١ر٥٠٠
١- العمل التطوعي ورعاية المعوقين في الأردن	الدكتور عبد الله الخطيب	٠ر٥٠٠
١- البيئة السياسية وتطور أعمال البريد في الأردن	الدكتور سعد أبو ديه	١ر٠٠٠
١- الصحة في الأردن	الدكتور عادل زيادات	٢ر٠٠٠
١- الشعر في الأردن	الدكتور سمير قطامي	١ر٠٠٠
٢- المسرح في الأردن	الدكتور مفيد حوامدة	١ر٠٠٠
٢- القضاء النظامي في الأردن	الدكتور مفلح القضاة	١ر٥٠٠
٢- التطور التاريخي للجهاز المصرفي والمالي في الأردن	الدكتور محمد سعيد النابلسي	١ر٠٠٠
٢- مسيرة الثورة العربية على الساحة الأردنية	الدكتور ممدوح الروسان	١ر٠٠٠
٢- من تاريخنا الحديث : ١- الثورة العربية: الأسباب والمبادئ والأهداف. ٢- شرقي الأردن: قبل تأسيس الإمارة	السيد سليمان موسى	١ر٥٠٠
٢- الأرض وملكيتها في الأردن	السيد بدري الملقي	١ر٠٠٠
٢- الشباب في الأردن	الدكتور علي الزغل	٢ر٠٠٠
٢- الثروات الطبيعية والطاقة والمياه في الأردن	الدكتور إبراهيم بدران	١ر٥٠٠
٢- السياحة والاستجمام في الأردن	الدكتور حابس سماوي	١ر٥٠٠
٢- القضاء الشرعي في الأردن	الشيخ محمد محيلان	١ر٠٠٠
٣- النظام الإداري في الأردن	الدكتور خالد الزعبي	١ر٥٠٠
٣- الرواية في الأردن	الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين	٤ر٥٠٠
٣- الفن التشكيلي في الأردن	الدكتور محمود صادق	٣ر٠٠٠
٣- الأدب الشعبي في الأردن	الدكتور هاني العمد	٢ر٥٠٠
٣- الإذاعة والتلفزيون في الأردن	السيد فاروق أنيس جرار	٥ر٠٠٠
- سلسلة كتب المطالعة :		
٣- إمارة شرقي الأردن: نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١ – ١٩٤٦م	السيد سليمان موسى	٤ر٥٠٠

الكتاب	المؤلف	الثمن (بالدينار الأردني)
٣٦- تاريخ الأردن السياسي المعاصر ما بين عامي ١٩٥٢ – ١٩٦٧م (الطبعة الثانية)	الدكتور حازم نسيبة	٥٠٠ر٣
٣٧- السكان والحياة الاجتماعية	الدكتور أحمد الربايعة والدكتور أحمد حمودة	٠٠٠ر٢
٣٨- الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى	السيد سليمان موسى	٠٠٠ر٤
٣٩- ملامح عامة للحياة الثقافية في الأردن ١٩٥٣ – ١٩٩٣م	السيد أحمد المصلح	٠٠٠ر٦
٤٠- التاريخ السياسي للعلاقات الأردنية السورية منذ الاستقلال حتى عام ١٩٧٦م .	الدكتور عبد المجيد الشناق	٠٠٠ر٨
ج – سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة :		
٤١- التجربة الحزبية في الأردن (الطبعة الثانية)	الدكتور عبد الله نقرش	٠٠٠ر٢
٤٢- الأردن ومؤتمرات القمة	الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم فضة	٥٠٠ر١
٤٣- التعاون الأردني الخليجي في ميادين التنمية	الدكتور صالح خصاونة	٥٠٠ر١
٤٤- الأوقاف والمساجد وتطور التعليم الديني	الدكتور محمد راكان الدغمي والدكتور صالح ذياب الهندي	٥٠٠ر٢
٤٥- الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة	الدكتورة سهيلة الريماوي	٥٠٠ر١
٤٦- العمل والعمال في الأردن	الدكتور منصور العتوم	٠٠٠ر١
٤٧- القضاء العشائري في الأردن	الدكتور محمد أبو حسان	٠٠٠ر٢
٤٨- الأردن والمنظمات الدولية	الدكتور وليد السعدي والسيدة اعتماد فرماوي	٠٠٠ر١
٤٩- الوسطية بين الكلمة والفعل في التجربة الأردنية	الدكتور صبحي العتيبي	٥٠٠ر١
٥٠- القضية الفلسطينية والقادة الهاشميون (الحسين، عبد الله ، فيصل، غازي، عبد الإله) (١٩١٥-١٩٥١م)	الأستاذ الدكتورة خيرية قاسمية	٥٠٠ر٣
٥١- الشريف الحسين بن علي والخلافة	السيد نضال داود المومني	٠٠٠ر٧
٥٢- العلاقات بين أمراء الأدارسة في عسير وأشراف مكة (١٩٠٨ – ١٩٢٥م)	حنان ملكاوي	٠٠٠ر٧

	الكتاب	المؤلف	الثمن (بالدينار الأردني)
	د – سلسلة المصادر والمراجع :		
٥٣	فهرس الرسائل الجامعية عن تاريخ الأردن	بإشراف الدكتور فاروق منصور	٢ر٠٠٠
٥٤	فهرس المصادر والمراجع عن الثورة العربية الكبرى	السيد محمد الصويركي الكردي	٣ر٥٠٠
٥٥	ببيلو غرافيا عصور ما قبل التاريخ في الأردن	الدكتور خالد أبو غنيمة	٢ر٥٠٠

ثانياً: منشورات اللجنة العليا ابتداءً من الكتاب السادس والخمسين ، عندما بدأت اللجنة نشر الكتب الصادرة عنها بأرقام متسلسلة دون تصنيفها ضمن سلسلة معينة :

	الكتاب	المؤلف	الثمن
٥٦	المؤسسة الثقافية في الأردن (١٩٦٥- ١٩٩٥م)	الدكتور هاني العمد	٤ر٠٠٠
٥٧	التعليم العالي في الأردن	الأستاذ الدكتور أحمد يوسف التل	٧ر٠٠٠
٥٨	تطور الصحافة الأردنية (١٩٢٠- ١٩٩٧م)	الأستاذ الدكتور عصام سليمان الموسى	٥ر٠٠٠
٥٩	تاريخ الشركس والشيشان في لواءي حوران والبلقاء ١٨٧٨ – ١٩٢٠ م	السيد جودت حلمي ناشخو	٧ر٠٠٠
٦٠	التاريخ السياسي للمملكة الأردنية الهاشمية (من حزيران ١٩٦٧ – ١٩٩٥م)	السيد سليمان موسى	٤ر٠٠٠
٦١	الحركة الشعرية في الأردن	الدكتور محمد عطيات	٧ر٠٠٠
٦٢	تاريخ الأردن في العصر المملوكي	الدكتور أحمد الجوارنة	٣ر٠٠٠



منشورات

اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن

متوافرة لدى مركز بيع وتوزيع المطبوعات في

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

(مؤسسة آل البيت)

هاتف : ٥٥٣٩٤٧١ ـ ٦ ـ ٩٦٢

فاكس : ٥٥٢٦٤٧١ ـ ٦ ـ ٩٦٢

عمّان – الأردن